

# مختصر تفسير بن كثير

الجزء الثلاثون

نسخة محققة ومدققة

لإمام الجليل الحافظ

عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي  
المتوفى سنة 774 هـ.

من أجل الحصول على نسخة بمحانية أكتب إلى:

جمعية تبليغ الإسلام ص . ب 834

الإسكندرية جمهورية مصر العربية

مشهرة برقم 536

## الجزء الثالثون

### من مختصر صحيح تفسير ابن كثير

لإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي المتوفى سنة 774 هـ.

#### مقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونشتعين به ونسترشده ، ونعود بالله من شرور أنفسنا، وسبئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أنزل كتابه الكريم بالحجة الدامغة، والبرهان الناصع، موعظة وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين، وأشهد أن سينينا محمدًا عبده ورسوله المنزل عليه: { وأنزلنا إليك الذكر لتبيّن للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون } صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، نجوم الهدى، وشموس العلم والعرفان، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فقد قيَضَ اللَّهُ - جَلَّ ثَناؤهُ - لكتابِهِ الْعَزِيزِ عَلَمَاءَ أَنْقِيَاءَ، وَمُخْلِصِينَ أَوْفِيَاءَ، مِنْ أَعْلَامِ الْهَدِيَّ، وَأَئِمَّةِ الصِّلَاحِ وَالدِّينِ، سَهَرُوا عَلَى خَدْمَةِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَبَذَلُوا قَصَارِيَّ جَهَدِهِمْ لِتَوْضِيْحِ مَعَانِيهِ، وَبِيَانِ أَسْرَارِهِ، وَكَشْفِ دَفَاقِهِ، وَاسْتِخْرَاجِ مَا فِيهِ مِنْ حُكْمٍ وَأَسْرَارٍ، وَمَا احْتَوَى عَلَيْهِ مِنْ رَوَاعَيْ وَعَجَابَ، فَكَانَ مِنْهُمْ مِنْ سَلَكِ طَرِيقِ الإِيجَازِ ، وَمِنْهُمْ مِنْ سَلَكِ طَرِيقِ الإِسْهَابِ وَالْإِطْنَابِ، وَمِنْهُمْ مِنْ افْتَصَرَ عَلَى التَّفْسِيرِ بِالْمَأْثُورِ، وَمِنْهُمْ مِنْ جَمْعِ بَيْنِ (الرواية والدراءة) إِلَى غَيْرِ مَا هُنَالِكُمْ مِنْ طَرَائِقِ الْمُفَسِّرِينَ وَأَسْلَابِهِمْ فِي الْقِبِيمِ وَالْحَدِيثِ . ولقد كان الإمام العلام، الحافظ الثبت الثقة عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي المتوفى سنة 774 هـ في مقدمة هؤلاء الأئمة الأعلام من جهابذة المفسرين، وقد وضع تفسيراً للكتاب الكريم سماه (تفسير القرآن العظيم) وتفسيره هذا من خير كتب التفسير بالمؤلف ومن أوثقها، وهو تفسير جامع بين (الرواية) و (الدراءة) .. يفسر القرآن بالقرآن، ثم بالأحاديث المشهورة في دواوين السنة المطهرة بأسانيدها، ويتكلم على الأسانيد جرحاً وتعديلأً، فيبين ما فيها من صحيح وضعيـفـ، وغريـبـ أو شاذـ، ثم يذكر آثار الصحابة والتابعـينـ ، قال السيوطي فيه: "لم يؤلف على نمطه مثله" وقد وضـحـ ابن كثير رحمـهـ اللهـ فيـ مقدمةـ تفسـيرـهـ هذاـ المنـهجـ الذي سـلـكهـ فيـ تفسـيرـهـ فقالـ: "فـانـ قـالـ قـائلـ: فـماـ أـحـسـنـ طـرـقـ التـفـسـيرـ؟ـ فالـجـوابـ: أـنـ أـصـحـ الـطـرـقـ فـيـ تـفـسـيرـهـ قـالـ: فـإـنـ كـثـيرـ رـحـمـهـ اللـهـ فـيـ مـقـدـمـةـ تـفـسـيرـهـ هـذـاـ الـمـنـهجـ الـذـي فـيـ ذـلـكـ أـنـ يـفـسـرـ الـقـرـآنـ بـالـقـرـآنـ .ـ فـمـاـ أـجـمـلـ فـيـ مـكـانـ ،ـ فـإـنـهـ قدـ بـسـطـ فـيـ مـوـضـعـ آخـرـ،ـ فـإـنـ أـعـيـاكـ ذـلـكـ فـعـلـيـكـ بـالـسـنـةـ،ـ فـإـنـهاـ شـارـحةـ لـالـقـرـآنـ وـمـوـضـحـةـ لـهـ"ـ بلـ قـالـ الإـمـامـ الشـافـعـيـ رـحـمـهـ اللـهـ تـعـالـىـ:ـ كـلـ مـاـ حـكـمـ بـهـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ فـهـ مـاـ فـهـمـهـ مـنـ الـقـرـآنـ .ـ قـالـ اللـهـ تـعـالـىـ:ـ {ـ إـنـاـ أـنـزـلـنـاـ إـلـيـكـ الـكـتـابـ بـالـحـقـ لـتـحـكـمـ بـيـنـ النـاسـ بـمـاـ أـرـاـكـ اللـهـ}ـ الـآيـةـ،ـ وـقـالـ تـعـالـىـ:ـ {ـ وـمـاـ أـنـزـلـنـاـ عـلـيـكـ الـكـتـابـ إـلـاـ لـتـبـيـنـ لـهـمـ الـذـيـ اـخـتـلـفـوـ فـيـ وـهـدـىـ وـرـحـمـةـ لـقـوـمـ يـؤـمـنـوـنـ}ـ وـقـالـ تـعـالـىـ:ـ {ـ وـأـنـزـلـنـاـ إـلـيـكـ الذـكـرـ لـتـبـيـنـ لـلـنـاسـ مـاـ نـزـلـ إـلـيـهـمـ وـلـعـلـهـمـ يـتـفـكـرـوـنـ}ـ .ـ وـلـهـذـاـ قـالـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ :ـ "ـ أـلـاـ إـنـيـ أـوـتـيـتـ الـقـرـآنـ وـمـثـلـهـ مـعـهـ"ـ يـعـنـيـ السـنـةـ،ـ وـالـسـنـةـ أـيـضاـ تـنـزـلـ عـلـيـهـ بـالـوـحـيـ،ـ كـمـاـ يـنـزـلـ الـقـرـآنـ،ـ إـلـاـ أـنـهـ لـاـ تـنـزـلـ كـمـاـ يـتـلـىـ الـقـرـآنـ،ـ وـالـغـرـضـ أـنـكـ تـطـلـبـ تـفـسـيرـ

القرآن منه، فإن لم تجده فمن السنة، فإذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح ، والعمل الصالح ، لا سيما علماؤهم وكبارؤهم ، والأئمة الأربع الخلفاء الراشدين، والأئمة المهدىين المهدىين، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم أجمعين" (مقدمة تفسير ابن كثير صفة 12/1)

و إنّا لنجد في عصرنا الحاضر ميل الناس إلى التزود من الثقافة الدينية ، ولا سيما تفسير الكتاب الكريم، والسنة النبوية المطهّرة، وكثيراً ما يُسأل الإنسان: أيُّ التفاسير أسهل منّا، وأجدى فائدة للقارئ في الزمن القليل؟ فيقف المرء واجماً حائراً لا يجد جواباً عن سؤال السائل، علمًا بأن كتب التفسير - ولله الحمد - كثيرة، وفيها فوائد جمة، ودرر متباشرة، وأسرار دينية عظيمة، ولكنها قد حشيت بالكثير من مصطلحات الفنون: من بلاغة، ونحو، وصرف، وفقه، وأصول، وغير ذلك مما كان عقبة كأدء، أمام العامة من القراء، لذلك دعت الحاجة الماسة إلى تذليل هذه الصعاب، تيسير فهم العظيم على عامة الناس، بسلوك منهاج السهولة والسلسة ، لذلك فقد عزمنا النية على اختصاره، وتنقيته من الشوائب، ليعم به الففع، وتتحقق منه الفائدة المرجوة، علمًا بأن اختصاره لا يعني أننا أغفلنا شطره، وحذفنا كثيراً منه، بل إن ما فعلناه لا يكفي أن يكون حذفًا لما لا ضرورة له، من الروايات المكررة، والأسانيد المطولة، والآثار الضعيفة، والأحكام التي لا حاجة لها، وبقي روح التفسير كما هو بأسلوبه السهل الميسّر، مع تمام الترابط والانسجام.

#### طريقة الاختصار:

وقد سلك في منهاج الاختصار لهذا التفسير الطريقة التالية وهي بإيجاز:

أولاً: حذف الأسانيد المطولة والاقتصر على ذكر راوي الحديث من الصحابة والإشارة في هامش الصفحة إلى من خرج الحديث مثل البخاري ومسلم وغيرهما.

ثانياً: الآيات الكريمة التي استشهد بها المؤلف رحمه الله، على طريقته في تفسير القرآن بالقرآن، أثبتتها مع الاقتصر على مكان الشاهد منها، لأنّه هو الغرض الأصلي من ذكرها، ولم نذكرها كاملة إذ يكفي الإشارة إليها لفهم المقصود.

ثالثاً: الاقتصر على الأحاديث الصحيحة، وحذف الضعيف منها، وحذف ما لم يثبت سنته من الروايات المأثورة، مما نبه عليه الشيخ ابن كثير رحمه الله.

رابعاً: ذكر أشهر الصحابة عند التفسير بالمأثور، ذكر ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، مع تثبيت أصح الروايات المنقوله عنهم.

خامساً: الاعتماد على أقوال مشاهير التابعين، المنقوله آراؤهم نقلاً صحيحاً وعدم ذكر جميع أقوال التابعين، لأن في بعضها ضعفاً - كما في سائر الروايات - وفيها الغث والسمين، لذلك فقد اعتمدنا على أصحها وأجمعها وأرجحها، ضربنا صفاً عن ذكر سائرها للأسباب التي ذكرناها.

سادساً: حذف الروايات الإسرائيليية، سواء كان غرض المؤلف الرد عليه، أو الاستشهاد بها على سبيل الاستئناس لا على سبيل القطع واليقين، إذ في الآثار الصحيحة ما يغني عن الاستشهاد بالروايات الإسرائيليية.

سابعاً: حذف ما لا ضرورة له من الأحكام والخلافات الفقهية، والاقتصار على الضروري منها دون حشو أو تطويل.  
والله نسأل أن ينفع به المسلمين، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، ويبقىه ذخراً لنا يوم الدين {بِيَوْمٍ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنْوَانٌ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقُلْبٍ سَلِيمٍ} وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## 78 - سورة النبأ.

بسم الله الرحمن الرحيم.

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ {1} عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ {2} الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ {3} كَلَّا سَيَعْلَمُونَ {4} ثُمَّ  
كَلَّا سَيَعْلَمُونَ {5} أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهَادًا {6} وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا {7} وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا {8}  
وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا {9} وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا {10} وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا {11} وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ  
سَبَعًا شِدَادًا {12} وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا {13} وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَاجًا {14}  
لِنُخْرِجَ بِهِ حَجاً وَبَنَاتًا {15} وَجَنَّاتِ الْفَافَا {16}

يقول تعالى منكراً على المشركين في تساؤلهم عن يوم القيمة إنكاراً لوقوعها: {عم يتساءلون \* عن النبأ العظيم} أي: عن أي شيء يتساءلون عن أمر القيمة، وهو النبأ العظيم: يعني الخبر الهائل المفظع الباهر، قال قادة: النبأ العظيم: البعث بعد الموت، وقال مجاهد: هو القرآن، والأظهر الأول، لقوله: {الذى هم فيه مختلفون} يعني الناس فيه مؤمن به وكافر، ثم قال تعالى متوجداً لمنكري القيمة: {كلا سيعملون} ثم كلا سيعملون وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد، ثم شرع تبارك وتعالى بين قدرته العظيمة على خلق الأشياء الغربية والأمور العجيبة، الدالة على قدرته على ما يشاء من أمر المعاد وغيره، فقال: {ألم نجعل الأرض مهاداً} أي ممهدة للخلائق ذلولاً لهم، قارة ساكنة ثابتة {والجبال أوتاداً} أي جعلها لها أوتاداً، أرساها بها وثبتها وقررها، حتى سكتت ولم تضطرب بمن عليها، ثم قال تعالى: {وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا} يعني ذكراً وأنثى، يتمتع كل منهما بالآخر، ويحصل التناسل بذلك كقوله: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مُوْدَةً وَرَحْمَةً}، و قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا} أي قطعاً للحركة لتحصل الراحة من كثرة الترداد، والسعى في المعيش في عرض النهار، {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا} أي يغشى الناس بظلامه وسواده، كما قال: {وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهُمْ}، وقال قادة: {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا} أي سكناً، و قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا} أي جعلناه مشرقاً نيراً مضيئاً ليتمكن الناس من التصرف فيه والذهاب والمجيء للمعاش والتكمب والتجارات وغير ذلك.

وقوله تعالى: {وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبَعًا شِدَادًا} يعني السماوات السبع في اتساعها وارتفاعها، وإحكامها وإتقانها وتزيينها بالكواكب الثوابت والسيارات، ولهذا قال تعالى: {وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا} يعني الشمس المنيرة على جميع العالم التي يتوهج ضوءها لأهل الأرض كلهم، و قوله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَاجًا} قال ابن عباس: المعصرات: الرياح، تستدر

المطر من السحاب، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: من المعصرات أي من السحاب (وهو قول عكرمة والضحاك والحسن والربيع بن أنس الثوري، واختاره ابن جرير وهو الأظهر كما قال ابن كثير)، وقال الفراء: هي السحاب التي تتحلّب بالمطر ولم تمطر بعد، كما يقال امرأة معصر إذا دنا حيضها ولم تحضر، وعن الحسن وقادة: {من المعصرات} يعني السماوات وهذا قول غريب، والأظهر أن المراد بالمعصرات السحاب ، كما قال تعالى: {الله الذي يرسل الرياح فتشير سحاباً في السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً فتري الودق يخرج من خلائه} أي من بينه، قوله جلَّ وعلا: {ماء ثجاجاً} قال مجاهد: {ثجاجاً}: منصباً، وقال الثوري: متنبأ، وقال ابن زيد: كثيراً ، قال ابن جرير: ولا يعرف في كلام العرب في صفة الكثرة الشج، وإنما الشج الصب المتنبأ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: "أفضل الحج العج والشج" يعني صب دماء البدن. فلت: وفي حديث المستحاضة: "إنما أثج ثجاً" وهذا فيه دلالة على استعمال الشج في الصب المتنبأ الكبير، والله أعلم.

وقوله تعالى: {لنخرج به حبّاً ونباتاً وجنات ألفافاً} أي لنخرج بهذا الماء الكثير الطيب النافع المبارك {حبّاً} يدخل لأنسي والأنعام، {ونباتاً} أي خضراً يؤكل رطبه، {وجنات} أي بساتين وحدائق من ثمار متنوعة وألوان مختلفة وطعم وروائح متفاوتة، وإن كان ذلك في بقعة واحدة من الأرض مجتمعاً، ولهذا قال: {وجنات ألفافاً} قال ابن عباس وغيره: ألفافاً مجتمعة، وهذه كقوله تعالى: {وفي الأرض قطع متجلورات وجنات من أعناب وزرعر ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعلّون}.

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا {17} يَوْمٌ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا {18} وَفُسْحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا {19} وَسَيِّرَتِ الْجَبَلُ فَكَانَتْ سَرَابًا {20} إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مُرْصَادًا {21} لِلْطَّاغِينَ مَآبًا {22} لَبَيْنَ فِيهَا أَحَقَابًا {23} لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا {24} إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا {25} جَزَاءً وِفَاقًا {26} إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حَسَابًا {27} وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَذَّابًا {28} وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا {29} فَذُوقُوا فَلَنْ تُزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا {30}

يقول تعالى مخبراً عن يوم الفصل، وهو (يوم القيمة) أنه مؤقت بأجل محدود، لا يزداد عليه ولا ينقص منه، ولا يعلم وقته على التعين إلا الله عزَّ وجلَّ، كما قال تعالى: {وما نؤخره إلا لأجل محدود} أنه {يوم ينفح في الصور فتأتون أفواجاً} قال مجاهد زمراً زمراً. قال ابن جرير: يعني تأتي كل أمة مع رسولها، كقوله تعالى: {يوم ندعوك كل إناس بإمامهم} قال البخاري: {يوم ينفح في الصور فتأتون أفواجاً} عن أبي هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما بين النافتين أربعون" قالوا: أربعون يوماً، قال: "أبيت"، قالوا: أربعون شهر؟ قال: "أبيت"، قالوا: أربعون سنة؟ قال: "أبيت"، قال: "ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينتت البقل ليس من الإنسان شيء إلا بلي إلا عظماً واحداً، وهو (عجب الذنب) ومنه يركب الخلق يوم القيمة". {وَفُسْحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا} أي طرقاً ومسالك لنزول الملائكة، {وَسَيِّرَتِ الْجَبَلُ فَكَانَتْ سَرَابًا} كقوله تعالى: {وَتَكُونُ الْجَبَلُ كَالْعَهْنِ الْمَنْفُوشِ}،

وقال هنا [فكان سراباً] أي يخيل إلى الناظر أنها شيء وليس بشيء، وبعد هذا تذهب بالكلية فلا عين ولا أثر، كما قال تعالى: {ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفاً \* فينجزها قاعاً صفصفاً \* لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً}، وقال تعالى: {ويوم نسيّر الجبال وترى الأرض بارزة}، قوله تعالى: {إن جهنم كانت مرصاداً} أي مرصدة معدة للطاغيين وهم المردة العصاة المخالفون للرسل، {أمباً} أي مرجعاً ومنقلباً ومصيرأً ونزلاء، وقال الحسن وقتادة: لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز النار، فإن كان معه جواز نجا وإن احتبس.

وقوله تعالى: {لابثين فيها أحقاباً} أي ماكثين فيها أحقاباً وهي جمع حقب وهو المدة من الزمان، وقد اختلفوا في مقداره، فقال ابن جرير، قال علي بن أبي طالب لهلال الهجري : ما تجدون الحقب في كتاب الله المنزل؟ قال: نجده ثمانين سنة، كل سنة اثنا عشر شهراً، كل شهر ثلاثون يوماً، كل يوم ألف سنة، وعن الحسن والسدي: سبعون سنة. وعن عبد الله بن عمرو: الحقب أربعون سنة، كل يوم منها كألف سنة مما تدعون، (رواهما ابن أبي حاتم)، وقال بشير بن كعب: ذكر لي أن الحقب الواحد ثلاثة سنة، اثنا عشر شهراً، كل سنة ثلاثة وستون يوماً، كل يوم منها كألف سنة. وقال السدي: {لابثين فيها أحقاباً} سبعمائة حقب، كل حقب سبعون سنة، كل سنة ثلاثة وستون يوماً، كل يوم كألف سنة مما تدعون، وقال خالد بن معدان هذه الآية، وقوله تعالى: {إلا ما شاء ربك} في أهل التوحيد (أخرجه ابن جرير)، قال ابن جرير: وال الصحيح أنها لا انتفاء لها، كما روي عن سالم: سمعت الحسن يسأل عن قوله تعالى: {لابثين فيها أحقاباً} قال أما الأحقارب فليس لها عدة إلا الخلود في النار، ولكن ذكروا أن الحقب سبعون سنة، كل يوم كألف سنة مما تدعون، وقال قتادة، قال الله تعالى: {لابثين فيها أحقاباً} وهو ما لا انقطاع له وكلما مضى حقب جاء حقب بعده. وقال الريبع بن أنس: {لابثين فيها أحقاباً} لا يعلم عدة هذه الأحقارب إلا الله عز وجل، وذكر لنا أن الحقب الواحد ثمانون سنة، والسنة ثلاثة وستون يوماً، كل يوم كألف سنة مما تدعون (أخرجه ابن جرير أيضاً).

وقوله تعالى: {لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً} أي لا يجدون في جهنم برداً لقلوبهم، ولا شراباً طيباً يتغذون به، ولهذا قال تعالى: {إلا حميماً وغساقاً}، وقال أبو العالية: استثنى من البرد الحمييم، ومن الشراب الغساق ، قال الريبع بن أنس: فأما الحمييم فهو الحار الذي قد انتهى حره وحموه والغساق هو ما اجتمع من صديد أهل النار وعرقهم ودموعهم وجروحهم، فهو بارد لا يستطيع من برده ولا يواجهه من ننته، وقوله تعالى: {جزاءً وفاقاً} أي هذا الذي صاروا إليه من هذه العقوبة، وفق أعمالهم الفاسدة التي كانوا يعملونها في الدنيا، ثم قال تعالى: {إنهم كانوا لا يرجون حساباً} أي لم يكونوا يعتقدون أن ثم داراً يجازون فيها ويحاسبون، {وکذبوا بآياتنا کذاباً} أي و كانوا يكذبون بحجج الله ودلائله على خلقه التي أنزلها على رسوله صلى الله عليه وسلم فيقابلونها بالتكذيب والمعاندة، وقوله {کذاباً} أي تكذيباً، وهو مصدر من غير الفعل، وقوله تعالى: {وکل شيء أحسيناه كتاباً} أي وقد علمنا أعمال العباد وكتبناها عليهم، وسنجزيهم على ذلك إن خيراً فخير، وإن شرًّا فشر، وقوله تعالى: {فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً} أي يقال لأهل النار ذوقوا ما أنتم فيه فلن نزيدكم إلا عذاباً من جنسه وأخر من شكله أزواج، قال قتادة: لم ينزل الله على أهل النار آية أشد من هذه الآية {فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً} فهم في مزيد من العذاب أبداً.

إِنَّ لِلْمُتَقِينَ مَفَازًا {31} حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا {32} وَكَوَاعِبَ أَثْرَابًا {33} وَكَاسًا دِهَافًا {34}  
 لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كَذَابًا {35} جَزَاءٌ مِّنْ رَبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا {36}

يقول تعالى مخبراً عن السعداء، وما أعد الله تعالى لهم من الكرامة والنعيم المقيم، فقال تعالى: {إن للمتقين مجازاً} قال ابن عباس متزهاً، وقال مجاهد: فازوا فنجوا من النار، والأظهر هنا قول ابن عباس لأنّه قال بعده {حَدَائِقَ} والحدائق البساطين من النخيل وغيرها، {وَأَعْنَابًا} وكوابع أثراباً أي وحراً كوابع، قال ابن عباس ومجاهد: {كوابع} أي نواهد، يعني أن ثديهن نواهد لم يتذليلن، لأنهن أبكار (عرب أثراب) أي في سن واحد، كما تقدم بيانه في سورة الواقعة وقوله تعالى: {وَكَاسًا دِهَافًا} قال ابن عباس: مملوءة متابعة، وقال عكرمة: صافية، وقال مجاهد والحسن {دهاف} الملأى المترعة، وقال سعيد بن جبير: هي المتابعة، وقوله تعالى: {لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كَذَابًا} قوله: {لَا لَغْوٌ فِيهِ وَلَا تَأْثِيمٌ} أي ليس فيها كلام لاغ عار عن الفائدة ولا إثم كذب، بل هي دار السلام وكل ما فيها سالم من النقص، وقوله: {جزاء من ربك عطاء حساباً} أي هذا الذي ذكرناه، جازاهم الله به بفضلهم ومنه وإحسانه {عطاء حساباً} أي كافياً وأفيما سالماً كثيراً، ومنه حسيبي الله، أي الله كافي.

رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا يَبْيَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلُكُونَ مِنْهُ خَطَابًا {37} يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ  
 وَالْمَلَائِكَةُ صَفَا لَا يَكَلِّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذْنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا {38} ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ  
 شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا {39} إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ  
 الْكَافِرُ يَا لَيْسَتِي كُنْتُ ثُرَابًا {40}

يخبر تعالى عن عظمته وجلاله وأنه رب السموات والأرض وما فيهما وما بينهما، وأنه الرحمن الذي شملت رحمته كل شيء، وقوله تعالى: {لا يملكون منه خطاباً} أي لا يقدر أحد على ابتداء مخاطبته إلا بإذنه، قوله تعالى: {من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه}، وقوله تعالى: {يوم يأت لا نتكلم نفس إلا بإذنه}، وقوله تعالى: {يوم يقوم الروح والملايكه صفا لا يتكلمون} اختلف المفسرون في المراد بالروح هنا ما هو؟ على أقوال: أحدها: ما روي عن ابن عباس أنهم أرواحبني آدم. الثاني: هم بنو آدم، قاله الحسن وقتادة. الثالث: أنهم خلق من خلق الله على صوربني آدم وليسوا بملائكة ولا ببشر قاله ابن عباس ومجاهد. الرابع: هو جبريل، قاله الشعبي وسعيد بن جبير والضحاك. الخامس: أنه ملك من الملائكة بقدر جميع المخلوقات، قال ابن عباس: هو ملك عظيم من أعظم الملائكة خلقاً والأشبه عندي - والله أعلم - أنهم بنو آدم (الأظهر أن المراد بالروح هنا (جبريل) عليه السلام كما قال سعيد بن جبير والضحاك ويؤيدوه قوله تعالى: [نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين] فالروح هو جبريل).

وقوله تعالى: {إِلَّا مَنْ أَذْنَ لَهُ الرَّحْمَنُ} قوله: {يوم يأت لا نتكلم نفس إلا بإذنه}، وكما ثبت في الصحيح: "ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل"، وقوله تعالى: {وَقَالَ صَوَابًا} أي حق، ومن الحق {إلا

إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ، كَمَا قَالَهُ عَكْرَمَةُ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ} أَيِّ الْكَانِ لَا مَحَالَةُ، {فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا} أَيِّ مَرْجَعًا وَطَرِيقًا يَهْتَدِي إِلَيْهِ، وَمِنْهَا يَمْرُ بِهِ عَلَيْهِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا} يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَنَأْكُدُ وَقْوَعَهُ صَارُ قَرِيبًا، لَأْنَ كُلَّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ، {يَوْمٌ يَنْظَرُ الْمَرءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ} أَيِّ يَعْرُضُ عَلَيْهِ جَمِيعُ أَعْمَالِهِ خَيْرًا هَا وَشَرُّهَا، قَدِيمَهَا وَحَدِيثُهَا كَوْلُهُ تَعَالَى: {وَوُجُودُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا}، وَكَوْلُهُ تَعَالَى: {بَنِيَّا إِنْسَانٌ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخْرِ}، {وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تَرَابًا} أَيِّ يَوْدُ الْكَافِرُ يَوْمَئِذٍ أَنَّهُ كَانَ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا تَرَابًا، وَلَمْ يَكُنْ خَلْقٌ وَلَا خَرَجَ إِلَى الْوُجُودِ، وَذَلِكَ حِينَ عَاهِنَ عَذَابَ اللَّهِ، وَنَظَرَ إِلَى أَعْمَالِهِ الْفَاسِدَةِ قَدْ سَطَرَتْ عَلَيْهِ بِأَيْدِيِّ الْمَلَائِكَةِ السَّفَرَةِ الْكَرَامِ الْبَرَّةِ، وَقَيْلٌ: يَوْدُ ذَلِكَ حِينَ يَحْكُمُ اللَّهُ، بَيْنَ الْحَيَّاتِ الْجَمَاءِ الَّتِي كَانَتْ فِي الدُّنْيَا، فَيَفْصِلُ بَيْنَهَا بِحُكْمِهِ الْعَدْلِ الَّذِي لَا يَجُورُ، حَتَّى إِنَّهُ لِيَقْتَصِسَ الشَّاةَ الْجَمَاءَ مِنَ الْقُرْنَاءِ، فَإِذَا فَرَغَ مِنَ الْحُكْمِ بَيْنَهَا قَالَ لَهَا: كُونِي تَرَابًا فَتَصْبِيرِ تَرَابًا فَعَنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ الْكَافِرُ {يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تَرَابًا} أَيِّ كَنْتُ حَيَّا وَنَأَرَى فَأَرَجِعُ إِلَى التَّرَابِ، وَقَدْ وَرَدَ مَعْنَى هَذَا فِي حَدِيثِ الصُّورِ الْمَشْهُورِ، وَوَرَدَ فِيهِ أَثَارٌ عَنْ أَبِي هَرِيْرَةَ وَعَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَمْرُو وَغَيْرِهِمَا.

## 79 - سورة النازعات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

وَالنَّازِعَاتِ غَرَقًا {1} وَالنَّاשِطَاتِ نَشْطًا {2} وَالسَّابِحَاتِ سَبَحًا {3} السَّابِقَاتِ سَبِقًا {4} فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا {5} يَوْمٌ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةَ {6} تَبْعَهَا الرَّادِفَةَ {7} قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجْفَةٌ {8} أَبْصَارُهَا خَاطِعَةٌ {9} يَقُولُونَ أَنَّا لَمْرُدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ {10} أَنَّا كُنَّا عَظَامًا ثَخِرَةً {11} قَالُوا تِلْكَ إِذَا كَرَّةً خَاسِرَةً {12} فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ {13} فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ {14}

{وَالنَّازِعَاتِ غَرَقًا}: الْمَلَائِكَةُ حِينَ تَنْزَعُ أَرْوَاحُ بْنَيِّ آدَمَ، فَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُ رُوحَهُ بَعْسَرٍ فَتَغْرِقُ فِي نَزْعَهَا، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُ رُوحَهُ بِسَهْوَةٍ وَكَانَمَا حَلَّتْهُ مِنْ نَشَاطٍ، وَهُوَ قَوْلُهُ: {وَالنَّاשِطَاتِ نَشْطًا} قَالَ ابْنُ عَبَّاسَ وَغَيْرُهُ، وَعَنْهُ {وَالنَّازِعَاتِ}: هِيَ أَنْفُسُ الْكَفَّارِ تَنْزَعُ ثُمَّ تَنْشَطُ ثُمَّ تَغْرِقُ فِي النَّارِ (رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتَّمَ)، وَقَالَ مَجَاهِدٌ: {وَالنَّازِعَاتِ غَرَقًا}: الْمَوْتُ. وَقَالَ الْحَسْنُ وَقَنْدَادُهُ: {وَالنَّازِعَاتِ غَرَقًا \* وَالنَّاשِطَاتِ نَشْطًا}: هِيَ النَّجُومُ، وَالصَّحِيفَةُ الْأُولَى وَعَلَيْهِ الْأَكْثَرُونَ ، أَمَا قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالسَّابِحَاتِ سَبَحًا} فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: هِيَ الْمَلَائِكَةُ، وَقَالَ قَنْدَادُهُ: هِيَ النَّجُومُ، وَقَالَ عَطَاءُ: هِيَ السُّفَنُ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {فَالسَّابِقَاتِ سَبِقًا}: يَعْنِي الْمَلَائِكَةَ، قَالَ الْحَسْنُ: سَبَقَتْ إِلَيْهِ الْإِيمَانُ وَالتَّصْدِيقُ، وَقَالَ قَنْدَادُهُ: هِيَ النَّجُومُ، وَقَالَ عَطَاءُ: هِيَ الْخَيلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا} قَالَ عَلِيٌّ وَمَجَاهِدٌ: هِيَ الْمَلَائِكَةُ تَدِيرُ الْأَمْرَ مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، يَعْنِي بِأَمْرِ رَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {يَوْمٌ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةَ \* تَتَبَعَهَا الرَّادِفَةَ} قَالَ ابْنُ عَبَّاسَ: هَمَا النَّفْخَتَانِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ (وَهُوَ قَوْلُ مَجَاهِدٍ وَالْحَسْنِ وَقَنْدَادُهُ وَالضَّحَّاكِ وَغَيْرِهِمْ)، قَالَ مَجَاهِدٌ: أَمَا الْأُولَى {يَوْمٌ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةَ} فَكَوْلُهُ جَلَّتْ عَظِيمَتَهُ: {يَوْمٌ تَرْجُفُ الْأَرْضَ وَالْجَبَالَ}، وَأَمَا الثَّانِيَةُ وَهِيَ الرَّادِفَةُ، كَوْلُهُ: {وَحَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجَبَالُ دَكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً}، وَفِي الْحَدِيثِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتَبَعَهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ" فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَيْتَ إِنْ جَعَلْتَ صَلَاتِي كَلَّا هَا عَلَيْكَ؟ قَالَ: "إِذَا يَكْفِيكَ اللَّهُ مَا

أهمك من ديناك وآخرتك" رواه أحمد و الترمذى ، ولفظ الترمذى: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ثالثاً الليل قام فقال: "يا أيها الناس انكروا الله جاءت الراجلة تتبعها الراجلة جاء الموت بما فيه". قوله تعالى: {قلوب يومئذ واجفة} ف قال ابن عباس: يعني خائفة {أبصارها خائفة} أي أبصار أصحابها وإنما أضيفت إليها للملابسة، أي ذليلة حقيقة مما عانى من الأهواء.

وقوله تعالى: {يقولون أئنا لمربودون في الحافرة} يعني مشركي قريش، يستبعدون وقوعبعث بعد المصير إلى {الحافرة} وهي القبور (قاله مجاهد) وبعد تمزق أجسادهم وتقتلت عظامهم ونخورها، ولهذا قالوا: {إذا كنا عظاماً نخرة} وقرىء: ناخرة أي بالية، قال ابن عباس: وهو العظم إذا دخلت الريح فيه، {قالوا ذلك إذا كرّة خاسرة}. وعن ابن عباس وقتادة: الحافرة الحياة بعد الموت، وقال ابن زيد: الحافرة النار، وما أكثر أسماءها! هي النار والجحيم وسفر وجهنم والهاوية والحفنة ولطى والحطمة، وأما قولهم: {ذلك إذا كرّة خاسرة} فقال محمد بن كعب، قالت قريش: لمن أحيانا الله بعد أن نموت لنخسرن ، قال الله تعالى: {فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة} أي فإنما هو من أمر الله لا مثنوية فيه ولا تأكيد فإذا الناس قيام ينظرون، وهو أن يأمر تعالى إسرافيل فينفخ في الصور نفحة البعث، فإذا الأولون والآخرون قيام بين يدي الرب عزوجل ينظرون، كما قال تعالى: {يوم يدعوكم فتسجّبون بحمده وتنظرون إن ليتهم إلا قليلاً}، وقال تعالى: {وما أمرنا إلا كلام بالبصر} وقال تعالى: {وما أمر الساعة إلا كلام البصر أو هو أقرب} قال مجاهد: {إنما هي زجرة واحدة} صيحة واحدة، وأشد ما يكون الرب عزوجل غضباً على خلقه يوم يبعثهم، قال الحسن البصري: زجرة من الغضب .

وقوله تعالى: {فإذا هم بالساهرة} قال ابن عباس: الساهرة الأرض كلها، وقال عكرمة والحسن: الساهرة وجه الأرض، قال مجاهد: كانوا بأسفلها فآخر جوا إلى أعلىها، عن سهل بن سعد الساعدي {فإذا هم بالساهرة} قال: أرض بيضاء عفراء خالية كالخيزنة النقى (رواه ابن أبي حاتم)، وقال الربيع بن أنس: {فإذا هم بالساهرة} يقول الله عزوجل: {يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار}، ويقول تعالى: {ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفاً \* فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً}، ويقول تعالى: {و يوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة}، وهي أرض لم يعلم عليها خطيبة ولم يهرق عليها دم.

هل أتاكَ حَدِيثُ مُوسَى {15} إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمَقْدَسِ طُوَى {16} اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى {17} فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَرَكُى {18} وَاهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى {19} فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبِيرَى {20} فَكَذَّبَ وَعَصَى {21} ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى {22} فَحَشَرَ فَنَادَى {23} فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى {24} فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى {25} إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعْبَرَةً لِمَنْ يَخْشَى {26}

يخبر تعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم عن عبده ورسوله موسى عليه السلام، أنه ابتعثه إلى فرعون وأيده الله بالمعجزات، ومع هذا استمر على كفره وطغيانه حتى أخذه الله

أخذ عزيز مقتدر، وكذلك عاقبة من خالفك يا محمد وكذب بما جئت به، ولهذا قال في آخر القصة: {إن في ذلك لعبرة لمن يخشى}، فقوله تعالى: {هل أنت حديث موسى} أي هل سمعت بخبره {إذ ناداه ربه} أي كلمة نداء {بالواد المقدس} أي المطهر، {طوى} وهو اسم الوادي على الصحيح، فقال له: {إذهب إلى فرعون إنه طغى} أي تجبر وتمرد وعتا، {فقل هل لك إلى أن ترتكب} أي قل له هل لك أن تجib إلى طريقة ومسلاك تركي به أي تسلم وتطيع، {وأهديك إلى ربك} أي أدللك إلى عبادة ربك {فتختشى} أي فيصير قلبك خاضعاً له مطيناً خاشعاً، بعد ما كان قاسياً خبيثاً بعيداً من الخير، {فارأه الآية الكبرى} يعني فأظهر له موسى مع هذه الدعوة الحق حجة قوية، ودليلًا واضحًا على صدق ما جاءه من عند الله، {فكنب وعصى} أي فكذب بالحق، وخالف ما أمره به من الطاعة، {ثم أدبر يسعى} أي في مقابلة الحق بالباطل وهو جموعه السحرة، ليقابلوا ما جاء به موسى عليه السلام من المعجزات الباهرات {فحشر فنادي} أي في قوله، {فقال أنا ربكم الأعلى} قال ابن عباس ومجاهد: وهذه الكلمة قالها فرعون بعد قوله: {ما علمت لكم من إله غيري} بأربعين سنة، قال الله تعالى: {فأخذته الله نكل الآخرة والأولى} أي انتقم الله منه انتقاماً جعله به عبرة ونكاية لأمثاله من المتمردين في الدنيا، {و يوم القيمة بئس الرفد المرفود}، كما قال تعالى: {وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيمة لا ينصرون}، وهذا هو الصحيح في معنى الآية أن المراد بقوله: {نكل الآخرة والأولى} أي الدنيا والآخرة، وقيل: المراد بذلك كلامه الأولي والثانوية، وقيل: كفره وعصيائه، وال الصحيح الأول، و قوله: {إن في ذلك لعبرة لمن يخشى} أي لم يتعظ ويتنزجر.

أَأَنْتُمْ أَشَدُّ حَلْقًا أَمِ السَّمَاءَ بَنَاهَا {27} رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا {28} وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا {29} وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا {30} أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا {31} وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا {32} مَنَاعًا لَكُمْ وَلَا تَعْامِكُمْ {33}

يقول تعالى متحجاً على منكري البعث في إعادةخلق بعد بدئه {أنتم} أيها الناس {أشد خلقاً أَمِ السَّمَاءَ} يعني بل السماء أشد خلقاً منكم كما قال تعالى: {خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس}، وقوله تعالى: {بناهَا} فسره بقوله: {رفع سمكها فسوها} أي جعلها عاليه البناء، بعيدة الفناء، مستوية الأرجاء، مكللة بالكواكب في الليلة الظلماء، وقوله تعالى: {وأغطش ليلها وأخرج ضحاها} أي جعل ليلها مظلماً أسود حالكاً، ونهارها مضيناً مشرقاً واضحاً، قال ابن عباس: أغطش ليلها أظلمه، {وأخرج ضحاها} أي أنار نهارها.

وقوله تعالى: {والأرض بعد ذلك دحاهَا} فسره بقوله تعالى: {أخرج منها ماءها ومرعها} وقد تقدم في سورة "حم السجدة" أن الأرض خلقت قبل خلق السماء، ولكن إنما دحيت بعد خلق السماء بمعنى أنه أخرج ما كان فيها بالقوة إلى الفعل، عن ابن عباس {دحاهَا} ودحيها أن أخرج منها الماء والمرعى وشقق فيها الأنهر، وجعل فيها الجبال والرمال والسبل والأكاماً ذلك قوله: {والأرض بعد ذلك دحاهَا}. وقد تقدم تقرير ذلك هنالك، وقوله تعالى: {والجبال أرساها} أي قررها وأثبتها في أماكنها، وهو الحكيم العليم، الرؤوف بخلقـه الرحيم. وقوله تعالى: {مناعاً لكم ولائعـكم} أي دحا الأرض فأتبـع عيونها، وأظهر مكنونها، وأجرى

أنهارها، وأنبت زروعها وأشجارها وثبت جبالها ل تستقر بأهلها ويقرر قرارها، كل ذلك متعًا لخلفه ولما يحتاجون إليه من الأنعم، التي يأكلونها ويركبونها مدة احتياجهم إليها في هذه الدار، إلى أن ينتهي الأمد وينقضى الأجل.

فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامِةُ الْكُبِيرَى {34} يَوْمٌ يَنَذَرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى {35} وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنِ يَرَى {36} فَلَمَّا مَنْ طَغَى {37} وَأَثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا {38} فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى {39} وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى {40} فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى {41} يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا {42} فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذُكْرَاهَا {43} إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَا هَا {44} إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَنْ يَخْتَاهَا {45} كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبُسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضَحَّاكَاهَا {46}

يقول تعالى: {فَإِذَا جاءَتِ الطَّامِةُ الْكُبِيرَى} وهو يوم القيمة، قاله ابن عباس سميت بذلك، لأنها تطم على كل أمر هائل مفزع، كما قال تعالى: {وَالسَّاعَةُ أَدْهِيٌّ وَأَمْرٌ}، {يَوْمٌ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى} أي حينئذ يتذكر ابن آدم جميع عمله، خيره وشره كما قال تعالى: {يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرُ}، {وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنِ يَرَى} أي أظهرت للناظرین فرآها الناس عياناً، {فَإِنَّمَا مِنْ طَغَى} أي تمرد وعتا، {وَأَثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} أي قدمها على أمر دينه وأخراه، {فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى}، أي فإن مصيره إلى الجحيم وإن مطعمه من الزقوم ومشربه من الحميم، {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى} أي خاف القيام بين يدي الله عزَّ وجلَّ، وخاف حكم الله فيه، ونهى نفسه عن هواه، وردها إلى طاعة مولاها، {فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى} أي منقلبه ومصيره إلى الجنة الفيحاء. ثم قال تعالى {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا} \* فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذُكْرَاهَا إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَا هَا} أي ليس علمها إليك ولا إلى أحد من الخلق، بل مردتها ومرجعها إلى الله عزَّ وجلَّ، فهو الذي يعلم وقتها على التعبيين {قُلْ إِنَّمَا عَلِمَهَا عَنِ اللَّهِ}، وقال هنا: {إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَا هَا}، ولهذا لما سأله جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة؟ قال: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل"، و قوله تعالى: {إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَنْ يَخْتَاهَا} أي إنما بعثتك لتذرن الناس، وتحذرهم من بأس الله وعذابه، فمن خشي الله وخاف مقام ربه ووعده أتبعك فأفلح وأنجح، والخيبة والخسار على من كذبك وخالفك، وقوله تعالى: {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبُسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضَحَّاكَاهَا} أي إذا قاموا من قبورهم إلى المحشر يستنقصون مدة الحياة الدنيا، حتى كأنها عندهم كانت عشية من يوم أو ضحى من يوم، قال ابن عباس: أما عشية فما بين الظهر إلى غروب الشمس، {أَوْ ضَحَّاكَاهَا} ما بين طلوع الشمس إلى نصف النهار، وقال قتادة: وقت الدنيا في أعين القوم حين عاينوا الآخرة.

## 80 - سورة عبس.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

عَبِسَ وَتَوَلَّى {1} أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى {2} وَمَا يُدْرِيكَ لَعْلَهُ يَزَّكَى {3} أَوْ يَذَّكَرُ فَتَنَعَّهُ الذِّكْرَى  
 {4} أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى {5} فَأَنْتَ لَهُ تَصْدَى {6} وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَى {7} {8} وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى  
 وَهُوَ يَخْشَى {9} فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهُّ {10} كَلَّا إِنَّهَا تَذَكِّرَةٌ {11} فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ {12} فِي  
 صُحْفٍ مُّكَرَّمَةٍ {13} مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ {14} بِأَيْدِي سَفَرَةٍ {15} كِرَامٍ بَرَّةٍ {16}

ذكر غير واحد من المفسرين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوماً يخاطب بعض علماء قريش، وقد طمع في إسلامه، فبينما هو يخاطبه ويناجيه إذ أقبل ابن أم مكتوم، وكان من أسلم قديماً، فجعل يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء ويلح عليه، وود النبي صلى الله عليه وسلم أن لو كف ساعته تلك، ليتمكن من ذلك الرجل طمعاً ورغبة في هدايته وعبس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه، وأقبل على الآخر، فأنزل الله تعالى، {عَبِسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى \* وَمَا يُدْرِيكَ لَعْلَهُ يَزَّكَى} أي يحصل له زكاة وطهارة في نفسه، {أَوْ يَذَّكَرُ فَتَنَعَّهُ الذِّكْرَى} أي يحصل له انتعاظ وازداجار عن المحارم.

{أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصْدَى} أي أَمَّا الغُنْيَ فَأَنْتَ تَعْرَضُ لَهُ لَعْلَهُ يَهْتَدِي {وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَى} أي مَا أَنْتَ بِمُطَلَّبٍ بِهِ إِذَا لَمْ يَزَّكْ نَفْسَهُ {وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى \* وَهُوَ يَخْشَى} أي يقصدك وبيؤمك ليهتدى بما تقول له، {فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهُّ} أي تتشاغل. ومن هنا أمر الله تعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يخص بالإنذار أحداً، بل يساوي فيه بين الشريف والضعيف، والفقير والغني، والصادقة والعبيد، والرجال والنساء، والصغار والكبار، ثم الله تعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وله الحكمة البالغة والحكمة الدامغة. روى الحافظ أبو يعلى عن أنس رضي الله عنه في قوله: {عَبِسَ وَتَوَلَّى} قال: جاء ابن أم مكتوم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهو يكلم (أبي بن خلف) فأعرض عنه، فأنزل الله عزوجل: {عَبِسَ وَتَوَلَّى \* أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى} فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه، وعن عائشة قالت: أنزلت {عَبِسَ وَتَوَلَّى} في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعل يقول أرشدني. قالت: وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من عظماء المشركين قالت: فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يعرض عنه، ويقبل على الآخر، ويقول: "أَتَرَى بِمَا أَقُولُ بِأَسَأَ؟" فيقول: لا، ففي هذا أنزلت: {عَبِسَ وَتَوَلَّى} (أخرج ابن جرير وأبو يعلى).

وهكذا ذكر غير واحد من السلف والخلف: أنها نزلت في ابن أم مكتوم، والمشهور أن اسمه عبد الله، وقوله تعالى: {كَلَّا إِنَّهَا تَذَكِّرَةٌ} أي هذه الوصية بالمساواة بين الناس، في إبلاغ العلم بين شريفهم ووضيعهم ، وقال قتادة {كَلَّا إِنَّهَا تَذَكِّرَةٌ} يعني القرآن {فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ} أي فمن شاء ذكر الله تعالى في جميع أموره ، ويحمل عود الضمير إلى الوحي لدلالة الكلام عليه، وقوله تعالى: {فِي صُحْفٍ مُّكَرَّمَةٍ} أي مرفوعة مطهرة \* مرفوعة مطهرة} أي هذه السورة أو العظة {فِي صُحْفٍ مُّكَرَّمَةٍ} أي معظمة موقرة، {مَرْفُوعَةٍ} أي عالية القدرة، {مُطَهَّرَةٍ} أي من الدنس والزيادة والتقصان، وقوله تعالى: {بِأَيْدِي سَفَرَةٍ} قال ابن عباس ومجاهد: هي الملائكة، وقال وهب بن متبه: هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، وقال قتادة: هم القراء، وقال ابن جرير:

والصحيح أن السفرة الملائكة، والسفرة يعني بين الله تعالى وبين خلقه، ومنه السفير الذي يسعى بين الناس في الصلح والخير، كما قال الشاعر:  
وَمَا أَدْعُ السَّفَارَةَ بَيْنَ قَوْمٍ \* وَمَا أَمْشِي بِغَشٍ إِنْ مَشَيْتُ.

وقال البخاري: سفرة الملائكة: سرفت أصلحت بينهم، وجعلت الملائكة إذا نزلت بمحى الله تعالى وتأدبيه كالسفير الذي يصلح بين القوم، قوله تعالى: {كرام بربرة} أي خلقهم كريم، وأخلاقهم بارة طاهرة، وفي الصحيح: "الذي يقرأ القرآن وهو ما هو به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرؤه وهو عليه شاق له أجران" (أخرج الجماعة عن عائشة رضي الله عنها مروعاً).

قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ {17} مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ {18} مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ {19} ثُمَّ السَّبَيلَ يَسِّرَهُ {20} ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَفْكَرَهُ {21} ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ {22} كَلَّا لَمَّا يَقْضِي مَا أَمْرَهُ {23} فَلَيَسْتُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ {24} أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًا {25} ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًا {26} فَأَنْبَثْنَا فِيهَا حَبًّا {27} وَعَنْبًا وَقَضَبًا {28} وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا {29} وَحَدَّأَنَّقَ غُلْبًا {30} وَفَاكِهَةَ وَأَبَابًا {31} مَتَاعًا لَكُمْ وَلَأَنْعَامَكُمْ {32}

يقول تعالى ذاماً لمن أنكر البعث والنشور من بنى آدم: {قتل الإنسان ما أكفره}، قال ابن عباس: لعن الإنسان، وهذا الجنس الإنساني المكتوب لكثرة تكذيبه {ما أكفره} أي ما أشد كفره، وقال ابن جرير: ويحمل أن يكون المراد أي شيء جعله كافراً أي ما حمله على التكذيب بالمعاد؟ وقال قتادة: {ما أكفره} ما ألغنه، ثم بين تعالى له كيف خلقه من الشيء الحقير، وأنه قادر على إعادته كما بدأه فقال تعالى: {من أي شيء خلقه؟ من نطفة خلقه فقدرها} أي قدر أحله ورزقه وعمله وشقى أو سعيد {ثم السبيل يسره} قال ابن عباس: ثم يسر عليه خروجه من بطن أمه (وهو قول عكرمة والضحاك وقتادة والسدي واختاره ابن جرير)، وقال مجاهد: هذه قوله تعالى: {إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً} أي بيناه له وأوضناه وسهلنا عليه علمه، وهذا هو الأرجح والله أعلم، قوله تعالى: {ثم أماته فأقربه} أي أنه بعد خلقه له {أماته فأقربه} أي جعله ذا قبر، والعرب يقول قبرت الرجل إذا ولـي ذلك منه. وأقربه الله، وطردت عنـي فلاناً وأطـرده الله، أي جعله طريداً، قوله تعالى: {ثم إذا شاء أنشره} أي بعثه بعد موته، ومنه يقال البعث والنشور.

عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يأكل التراب كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه"، قيل: وما هو يا رسول الله؟ قال: "مثل حبة خردل منه تتشاؤن" (أخرجـه ابن أبي حاتم) وهذا الحديث ثابت في الصحيحين بدون هذه الزيادة، ولفظه: "كل ابن آدم يليل إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب" (أخرجـه عن أبي هريرة)، قوله تعالى: {كلا لـما يـقضـ ما أمرـه} قال ابن جرير: يقول جل ثناؤه كلا ليس الأمر كما يقول هذا الإنسان الكافر من أنه قد أدى حق الله عليه في نفسه وماليه، {لـما يـقضـ ما أمرـه} يقول: لم يـؤـدـ ما فـرضـ عليهـ منـ الفـرـائـضـ لـرـبـهـ عـزـ وـجـلـ، عنـ مجـاهـدـ قالـ: لا يـقـضـيـ أحدـ أـبـداـ كـلـ ما افترـضـ عـلـيـهـ.

وقوله تعالى: {فَلَيَنْظُرِ الْإِنْسَانَ إِلَى طَعَامِهِ} فيه امتنان، وفيه استدلال بإحياء النبات من الأرض الهمدة، على إحياء الأجسام بعدها كانت عظاماً بالية وتراباً متمزقاً، {أَنَا صَبِّنَا الماء صَبَّاً} أي أنزلناه من السماء على الأرض، {ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقَّاً} أي أسكناه فيها فيدخل في تخومها، فنبت وارتفع وظهر على وجه الأرض، {فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعَنْبًا وَقَضْبًا}، فالحب كل ما يذكر من الحبوب، والعنب معروفة، والقضب هو الفصصنة التي تأكلها الدواب رطبة، ويقال لها الفت أيضاً. قال ذلك ابن عباس وقتادة، وقال الحسن البصري: القصب العلف، {وَزَيَّتُونًا} وهو معروف، وهو أدم وعصيره أدم، ويستصبح به ويدهن به، {وَنَخْلًا} يؤكل بلحا وبسراً، ورطباً وتمراً، ونبياً ومطبوخاً، ويعتصر منه رب وخل. {وَحَدَائِقُ غَلَبًا} أي بساتين، قال الحسن وقتادة: غالباً نخل غلاظ كرام، وقال ابن عباس ومجاهد: كل ما التقى واجتمع، وقال ابن عباس أيضاً {غَلَبًا} الشجر الذي يستظل به، وقال عكرمة: {غَلَبًا} أي غلاظ الأوساط، وقوله تعالى: {وَفَاكِهَةُ وَأَبَا} أما الفاكهة فكل ما ينفكه به من الثمار، قال ابن عباس: الفاكهة كل ما أكل رطباً، والأب ما أنبت الأرض مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس، وفي رواية عنه: هو الحشيش للبهائم، وقال مجاهد: الأب الكلأ، وعن مجاهد والحسن: الأب للبهائم كالفاكهة لبني آدم، وعن عطاء كل شيء نبت على وجه الأرض فهو أب، وقال الضحاك: كل شيء أنبنته الأرض سوى الفاكهة فهو الأب. وقال العوفي ، عن ابن عباس: الأب: الكلأ والمرعى.

روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ {عَبَسٌ وَنَوْلٌ} فلما أتى على هذه الآية: {وَفَاكِهَةُ وَأَبَا} قال: قد عرفنا الفاكهة فما الأب؟ فقال لعمرك يا ابن الخطاب إن هذا لهو التكاف (رواه ابن جرير، وإسناده صحيح كما قال ابن كثير)، وهذا محمول على أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعيشه، والإ فهو يعلم أنه من نبات الأرض لقوله: {فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعَنْبًا وَقَضْبًا وَزَيَّتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غَلَبًا وَفَاكِهَةَ وَأَبَا}. وقوله تعالى: {مَنْتَاعًا لَكُمْ وَلَا نَعَامَكُمْ} أي عيشة لكم ولأنعامكم في هذه الدار، إلى يوم القيمة.

**فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَةُ** {33} يَوْمٌ يَفْرُّ الْمَرءُ مِنْ أَخِيهِ {34} وَأُمَّهُ وَأَبِيهِ {35} وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ {36} لِكُلِّ امْرَئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَانِ يُغْبِيهِ {37} وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفَرَةٌ {38} ضَاحِكَةٌ مُسْتَبِشِرَةٌ {39} وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ {40} تَرْهَقُهَا قَرَّةٌ {41} أَوْلَئِكَ هُمُ الْكُفَّارُ الْفَجَرُ {42}

قال ابن عباس: {الصَّاخَةُ} اسم من أسماء يوم القيمة، عظمه الله وحدته عباده، وقال البغوي: {الصَّاخَةُ} يعني يوم القيمة، سميت بذلك لأنها تصبح الأسماع، أي تبالغ في إسماعها حتى تكاد تتصمناها، {يَوْمٌ يَفْرُّ الْمَرءُ مِنْ أَخِيهِ \* وَأُمَّهُ وَأَبِيهِ \* وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ} أي يراهم ويفر منهم؛ لأن الهول عظيم، والخطب جليل، قال عكرمة: يلقى الرجل زوجته فيقول لها: يا هذه أي بعل كنت لك؟ فتقول: نعم البعل كنت، وتنتحي بخير ما استطاعت، فيقول لها: فإني أطلب إليك اليوم حسنة واحدة تهيبها لي لعلي أنجو مما ترين ، فتقول له: ما أيسر ما طلت، ولكن لا أطيق أن أعطيك شيئاً أتخوف مثل الذي تخاف، قال: وإن الرجل ليلقى ابنه فيتعلق به فيقول: يابني أي والد كنت لك؟ فيثني بخير، فيقول له: يابني إنني احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك لعلي

أنجو بها مما ترى ف يقول ولده : يا أبى ما أيسر ما طلبت ، ولكنني أتخوف مثل الذي تتخوف ،  
فلا أستطيع أن أعطيك شيئاً ، يقول الله تعالى : {يُوْمَ يَفِرُّ الْمَرءُ مِنْ أَخِيهِ \* وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ \*  
وَصَاحِبِهِ وَبْنِيهِ}

وفي الحديث الصحيح في أمر الشفاعة : حتى عيسى بن مرريم يقول : لا أسأله اليوم إلا نفسي ،  
لا أسأله مرريم التي ولدتني ، عن ابن عباس قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
"تحشرون حفاة عراة مشاة غرلاً" قال ، فقالت زوجته : يا رسول الله ننظر أو يرى بعضاً  
عورة بعض قال : "لكل امرئ يومئذ شأن يغنيه" أو قال : "ما أشغله عن النظر". وعن عروة  
عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "يبعث الناس يوم القيمة حفاة عراة  
غرلاً" فقالت عائشة : يا رسول الله كيف بالعورات ؟ فقال : "لكل امرئ منهم يومئذ شأن  
يغنيه" (انفرد به النسائي من هذه الوجه). وقال البغوي في تفسيره ، عن سودة زوج النبي  
صلى الله عليه وسلم قالت ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يبعث الناس حفاة عراة  
غرلاً قد أجمهم العرق وبلغ شحوم الأذان" ، فقلت : يا رسول الله واسوأتأهينظر بعضاً إلى  
بعض ؟ فقال : قد شغل الناس [لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه] قوله تعالى : {وجوه يومئذ  
مسفرة ضاحكة مستبشرة} أي يكون الناس هنالك فريقين ، وجوه مسفرة أي مستبشرة [ضاحكة  
مستبشرة} أي مسرورة فرحة ، قد ظهر البشر على وجوههم ، وهؤلاء هم أهل الجنة ،  
{ووجوه يومئذ عليها غبرة \* ترهقها قترة} أي يعلوها وتغشاها [قترة} أي سواد ، وفي  
الحديث : "يلجم الكافر العرق ثم تنفع الغبرة على وجوههم" ، فهو قوله تعالى : {ووجوه يومئذ  
عليها غبرة} (أخرجه ابن أبي حاتم) ، وقال ابن عباس {ترهقها قترة} أي يغشاها سواد  
الوجوه ، قوله تعالى : {أولئك هم الكفارة الفجرة} أي الكفارة قلوبهم ، الفجرة في أعمالهم ، كما  
قال تعالى : {ولَا يَلْدُوا إِلَّا فَجْرًا كَفَارًا}

## 81 - سورة التكوير.

### [مقدمة]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من سره أن ينظر إلى يوم القيمة كأنه رأى عين  
فليقرأ : {إِذَا الشَّمْسُ كُوِرَتْ} و {إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ} و {إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَتْ}" أخرجه أحمد.

بسم الله الرحمن الرحيم.

إِذَا الشَّمْسُ كُوِرَتْ {1} وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ {2} وَإِذَا الْجِبَالُ سُيَرَتْ {3} وَإِذَا الْعَشَارُ  
عُطْلَتْ {4} وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ {5} وَإِذَا الْبَحَارُ سُجَرَتْ {6} وَإِذَا التُّفُوسُ رُوَجَتْ {7}  
وَإِذَا الْمَوْدُدَةُ سُلَّتْ {8} بَأَيِّ ذَنْبٍ قُلِتْ {9} وَإِذَا الصُّحُفُ تُشَرَّتْ {10} وَإِذَا السَّمَاءُ  
كُشِطَتْ {11} وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعَرَتْ {12} وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلَفَتْ {13} عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا حَضَرَتْ  
{14}

قال ابن عباس: {إذا الشمس كورت} يعني أظلمت، وقال العوفي عنه: ذهبت، وقال مجاهد: اضمحلت وذهبت، وقال قادة: ذهب ضوءها، وقال سعيد بن جبير: {كورت} غورت، وقال زيد بن أسلم: تقع في الأرض، قال ابن جرير: والصواب من القول عندنا في أن التكوير جمع الشيء بعده على بعض، ومنه تكوير العمامة وجام الثياب بعدها إلى بعض، فمعنى قوله تعالى: {كورت} جمع بعضها إلى بعض، ثم لفت فرمى بها، وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها، روي عن ابن عباس أنه قال: يكور الله الشمس والقمر والنجم يوم القيمة في البحر ويبعث الله ريحًا دبورًا فتضمرها ناراً (أخرجه ابن أبي حاتم)، وروى البخاري، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: "الشمس والقمر يكوران يوم القيمة". وقوله تعالى: {وإذا النجوم اندرت} أي انشرت كما قال تعالى: {وإذا الكواكب انثرت}. وأصل الاندثار الانصباب، قال أبي بن كعب: ست أيام قبل يوم القيمة، بينما الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس، وبينما هم كذلك إذ تناشرت النجوم، وبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض، فتحركت واضطربت واختلطت، ففرزت الجن إلى الإنس والإنس إلى الجن، واختلطت الدواب والطير والوحش، فما جروا بعضهم في بعض، {وإذا الوحوش حشرت} قال اختلطت، {وإذا العشار عطلت} قال: أهملها أهلهما، {وإذا البحار سجرت} قال، قالت الجن: نحن نأتيكم بالخبر، قال: فانطلقوا إلى البحر، فإذا هو نار تتأجج، قال: وبينما هم كذلك إذ تصعدت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلية ، وإلى السماء السابعة العليا، قال: وبينما هم كذلك إذ جاءتهم الريح فأماتتهم (أخرجه ابن جرير)، وقال ابن عباس: {وإذا النجوم اندرت} أي تغيرت .

وقوله تعالى: {وإذا الجبال سيرت} أي زالت عن أماكنها ونسفت فتركت الأرض قاعاً صحفاً، قوله: {وإذا العشار عطلت} عشار الإبل، قال مجاهد: {عطلت} تركت وسيبت، وقال أبي بن كعب: أهملها أهلهما، وقال الريبع بن خيثم: لم تحبل وتخلى عنها أربابها، والمعنى في هذا كله متقاب، والمقصود أن العشار من الإبل وهي خيارها والحوامل منها، واحتذتها عشراء قد اشتغل الناس عنها وعن كفالتها والانتفاع بها، بما دهمهم من الأمر العظيم الهائل، وهو أمر يوم القيمة ووقوع مقدماتها، وقيل: بل يكون ذلك يوم القيمة يراها أصحابها، كذلك لا سبيل لهم إليها، وقد قيل في العشار: إنها السحاب تعطل عن المسير بين السماء والأرض لخراب الدنيا، والراجح أنها الإبل، والله أعلم. وقوله تعالى: {وإذا الوحوش حشرت} أي جمعت كما قال تعالى: {وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون} قال ابن عباس: يحشر كل شيء حتى الذباب، وقال عكرمة: حشرها موتها، وعن ابن عباس قال: حشر البهائم موتها وحشر كل شيء الموت غير الجن والإنس (أخرجه ابن جرير). وعن الريبع بن خيثم {وإذا الوحوش حشرت} قال: أتى عليها أمر الله، وعن أبي بن كعب أنه قال: {وإذا الوحوش حشرت} اختلطت، قال ابن جرير: والأولى قول من قال حشرت جمعت، قال الله تعالى: {والطير محشور} أي مجموعة، قوله تعالى: {وإذا البحار سجرت} قال ابن عباس: يرسل الله عليها الرياح الدبور فتسعرها وتتصير ناراً تأجج ، وقال مجاهد {سجرت}: أفقدت، وقال الحسن: بيسرت، وقال الضحاك وقتادة: غاضن ما بها ذهب فلم يبق فيها قطرة، وقال الضحاك أيضاً: {سجرت} فجرت، وقال السدي: فتحت وصبرت، وقوله تعالى: {وإذا النفوس زوّجت} أي جمع كل شكل إلى نظيره كقوله تعالى: {احشروا الذين ظلموا وأزواجهم} أي الضرباء كل

رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله، روى النعمان بن بشير أن عمر بن الخطاب خطب الناس فقرأ: {وإذا النفوس زوجت} فقال: تزوجها أن تؤلف كل شيعة إلى شيعتهم، يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح، ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار، فذلك تزويج الأنفس (أخرجه ابن أبي حاتم)، وعن ابن عباس في قوله تعالى: {وإذا النفوس زوجت} قال: ذلك حين يكون الناس أزواجاً ثلاثة، وقال مجاهد: {وإذا النفوس زوجت} قال: الأمثال من الناس جمع بينهم، واختاره ابن جرير، وقال الحسن البصري وعكرمة: زوجت الأرواح بالأبدان، وقيل: زوج المؤمنون بالحور العين، وزوج الكافرون بالشياطين (حكاه القرطبي في التنكرة).

وقوله تعالى: {وإذا الموءودة سئلت \* بأي ذنب قُتلت} الموءودة هي التي كانت أهل الجاهلية يدسونها في التراب كراهية البنات، في يوم القيمة تسأل الموءودة على أي ذنب قُتلت ليكون ذلك تهديداً لقاتلها، فإنه إذا سئل المظلوم بما ظن الظالم إذا؟ وقال ابن عباس: {وإذا الموءودة سئلت} أي سئلت أي طالبت بدمها. وقد وردت أحاديث تتعلق بالموءودة فقال الإمام أحمد عن جذامة بنت وهب أخت عاكasha قالت: حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس وهو يقول: "لقد هممت أن أنهى عن الغيلة فنظرت في الروم وفارس، فإذا هم يغيلون أولادهم، ولا يضر أولادهم ذلك شيئاً"، ثم سأله عن العزل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ذلك الوأد الخفي وهو الموءودة سئلت" (أخرجه أحمد ورواه مسلم وأبو داود والترمذمي بنحوه). وروى الإمام أحمد عن سلمة بن يزيد الجعفي قال: انطلقت أنا وأخي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا: يا رسول الله إن أمينا مليكة كانت تصل الرحم، وتقرى الضيف، هلكت في الجاهلية فهل ذلك نافعها شيئاً؟ قال: "الواندة والموءودة في النار، إلا أن يدرك الواندة الإسلام فيفعو الله عنها" (وأخرجه النسائي). وفي الحديث: "النبي في الجنة، والشهيد في الجنة، والمولود في الجنـة، والموءودة في الجنـة" (أخرجه أحمد من حديث خنساء بنت معاوية الصريمية عن عمها قال، قلت: يا رسول الله من في الجنـة؟ فقال الحديث). وعن قرة قال: سمعت الحسن يقول: قيل، يا رسول الله من في الجنـة؟ قال: "الموءودة في الجنـة" (هذا من مراسيل الحسن ومنهم من قبله). وقال ابن عباس: أطفال المشركين في الجنـة، فمن زعم أنهم في النار فقد كذب، يقول الله تعالى: {وإذا الموءودة سئلت \* بأي ذنب قُتلت}، قال ابن عباس: هي المدفونة، وقال عبد الرزاق: جاء قيس بن عاصم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إني وأدت بنات لي في الجاهلية، قال: "أعتق عن كل واحدة منها رقبة" قال: يا رسول الله إني صاحب إيل، قال: "فانحر عن كل واحدة منها بذنة" (وأخرجه الحافظ البزار بنحوه عن عمر بن الخطاب).

وقوله تعالى: {وإذا الصحف نشرت} قال الضحاك: أعطى كل إنسان صحيقه بيمينه أو بشماله، وقال قتادة: يا ابن آدم تملئ فيها ثم تطوى، ثم تنشر عليك يوم القيمة، فلينظر رجل ماذا يملئ في صحيقه، قوله تعالى: {وإذا السماء كشطت} قال مجاهد: اجتنبت؛ وقال السدي: كشفت؛ وقال الضحاك: تكتشف فتدهب، قوله تعالى: {وإذا الجحيم سعرت} قال السدي: أحimit، وقال قتادة: أوقفت، قال: وإنما يسرعها غضب الله وخطايابني آدم، وقوله تعالى: {وإذا الجنـة أزلفت} قال الضحاك: أي قربت من أهلهـا، وقوله تعالى: {علمت نفس ما

حضرت} هذا هو الجواب أي إذا وقعت هذه الأمور حينئذ تعلم كل نفس ما عملت، وأحضر ذلك لها كما قال تعالى: {يُوْمَ تَجِدُ كُلَّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تُوْدِ لَوْ أَنْ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمْدًا بَعِيدًا}، وقال تعالى: {يَنْبَأُ إِنْسَانٍ يَوْمَنْدَ بِمَا قَدَمْ وَأَخْرَ} عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: لما نزلت: {إِذَا الشَّمْسُ كَوْرَتْ} قال عمر: لما بلغ {علمت نفس ما حضرت} قال: لهذا أجري الحديث.

فَلَا أَقْسُمُ بِالْخَنْسِ {15} الْجَوَارُ الْكَنْسِ {16} وَاللَّيلِ إِذَا عَسْعَسَ {17} وَالصَّحْ إِذَا تَنَفَّسَ {18} إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ {19} ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ {20} مُطَاعٌ ثُمَّ أَمِينٍ {21} وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْهُونٍ {22} وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ {23} وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَيْنٍ {24} وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ {25} فَأَيْنَ تَدْهَبُونَ {26} إِنْ هُوَ إِلَّا ذُكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ {27} لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ {28} وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ {29}

{فلا أقسم بالخنس \* الجوار الكنس} قال علي: هي النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل. وروى ابن جرير عن خالد بن عرارة سمعت علياً، وسئل عن {لا أقسم بالخنس \* الجوار الكنس} فقال: هي النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل ، وكذا روي عن ابن عباس ومجاهد والحسن: أنها النجوم، وقال بعض الأئمة: إنما قليل للنجوم الخنس، أي في حال طلوعها، ثم هي جوار في فلكها، وفي حال غيبتها يقال لها كنس، من قول العرب: أوى الظبي إلى كناسه، إذا تغيب فيه، وروى الأعمش عن عبد الله {فلا أقسم بالخنس} قال: بقر الوحش، وقال ابن عباس {الجوار الكنس} البقر تكنس إلى الظل، وقال العوفي عن ابن عباس: هي الظباء (وكذا قال سعيد بن جبير ومجاهد والضحاك)، وقال أبو الشعثاء: هي الظباء والبقر، وتوقف ابن جرير في المراد بقوله: {الخنس الجوار الكنس} هل هو النجوم أو الظباء أو بقر الوحش؟ قال: ويحتمل أن يكون الجميع مراداً، قوله تعالى: {واللَّيلُ إِذَا عَسْسَ} فيه قوله تعالى: (أحدهما): إقباله بظلماته، قال مجاهد: أظلم، وقال سعيد بن جبير: إذا نشا، وقال الحسن البصري: إذا غشي الناس، (والثاني): إدباره ، قال ابن عباس: {إِذَا عَسْسَ} إذا أذبر، وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك {إِذَا عَسْسَ} أي إذا ذهب فتولى، وقد اختار ابن جرير أن المراد بقوله: {إِذَا عَسْسَ} إذا أذبر، قال لقوله تعالى: {وَالصَّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ} أي أضاء، واستشهد بقول الشاعر أيضًا:

حتى إذا الصبح له تنفسا \*      وانجاب عنها ليلاها وعسسا

أي أذبر، وعندی أن المراد بقوله: {إِذَا عَسْسَ} إذا أقبل، وإن كان يصح استعماله في الإدبار أيضاً، لكن الإقبال هنا أنساب، كأنه أقسام بالليل وظلماته إذا أقبل، وبالفجر وضيائه إذا أشراق، كما قال تعالى: {وَاللَّيلُ إِذَا يَغْشِي \* وَالنَّهَارُ إِذَا تَجْلِي}، وقال تعالى: {وَالضَّحْيَ \* وَاللَّيلُ إِذَا سَجَى}، وقال تعالى: {فَالَّقَّ الاصْبَاحَ وَجَعَ اللَّيلَ سَكَناً} وغير ذلك من الآيات، قوله تعالى: {وَالصَّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ} قال الضحاك: إذا طلع، وقال قتادة: إذا أضاء وأقبل، وقال سعيد بن جبير: إذا نشا، وقال ابن جرير: يعني ضوء النهار إذا أقبل وتبين.

وقوله تعالى: {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ} يعني إن هذا القرآن لتبلیغ رسول کریم، أي ملک شریف حسن الخلق بھی المنظر، وهو (جریل) عليه الصلوة والسلام، {ذی قوۃ} قوله تعالى: {علمه

شديد القوى \* ذو مرة} أي شديد الخلق شديد البطش والفعل، {عند ذي العرش مكين} أي له مكانة عند الله عزَّ وجلَّ ومنزلة رفيعة، {مطاع ثم} أي له وجاهة وهو مسموع القول مطاع في الملا الأعلى، قال قنادة: {مطاع ثم} أي في السموات ، يعني ليس هو من أفناد (أفاد: جمادات) الملائكة، بل هو من السادة والأشراف، معتنى به انتخب لهذه الرسالة العظيمة، وقوله تعالى: {أمين} صفة لجبريل بالأمانة، وهذا عظيم جداً، أن الرب عزَّ وجلَّ يزكي عبده ورسوله الملكي جبريل كما زكي عبده ورسوله البشري محمد صلَّى الله عليه وسلم بقوله تعالى: {وما صاحبكم بمحنون} قال الشعبي وميمون: المراد بقوله {وما صاحبكم بمحنون} يعني محمداً صلَّى الله عليه وسلم، وقوله تعالى: {ولقد رأه بالأفق المبين} يعني ولقد رأى محمد (جبريل)، الذي يأتيه بالرسالة عن الله عزَّ وجلَّ على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح، {بالأفق المبين} أي البين، وهي الرؤية الأولى كانت بالطحاء، وهي المذكورة في قوله: {علمه شديد القوى \* ذو مرة فاستوى \* وهو بالأفق الأعلى}، والظاهر أن هذه السورة نزلت قبل ليلة الإسراء، لأنه لم يذكر فيها إلا هذه الرؤية وهي الأولى، وأما الثانية وهي المذكورة في قوله تعالى: {ولقد رأه نزلة أخرى \* عند سدرة المنتهى \* عندها جنة المأوى \* إذ يغشى السدرة ما يغشى} فتلك إنما ذكرت في سورة النجم، وقد نزلت بعد سورة الإسراء.

قوله تعالى: {وما هو على الغيب بظنين} أي بمتهم، ومنهم من قرأ ذلك بالضاد، أي بيخيل بل بيذهله لكل أحد. قال سفيان بن عيينة: (ظنين) و (ضنين) سواء، أي ما هو بفاجر، و (الظنين) المتهم، و (الضنين) البخيل، وقال قنادة: كان القرآن غبياً فأذله الله على محمد، فما ضنه به على الناس بل نشره وبلغه وبذله لكل من أراده، واختار ابن جرير قراءة الضاد. (قلت): وكلاهما متواتر ومعناه صحيح كما تقدم، وقوله تعالى: {وما هو بقول شيطان رجيم} أي وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم، أي لا يقدر على حمله ولا يريده ولا ينبغي له، كما قال تعالى: {وما تنزلت به الشياطين \* وما ينفعي لهم وما يستطعون \* إنهم عن السمع لمعزولون}. وقوله تعالى: {فأين تذهبون؟} فـأين تذهب عقولكم في تكذيبكم بهذا القرآن، مع ظهوره ووضوحيه وبيان كونه حقاً من عند الله عزَّ وجلَّ كما قال الصديق رضي الله عنه لوفدبني حنيفة حين قدموا مسلمين، وأمرهم فتلوا عليه شيئاً من قرآن مسلمة الكذاب الذي هو في غاية الهذليان والركاكة فقال: "ويحكم أين تذهب عقولكم؟ والله إن هذا الكلام لم يخرج من إل" أي من إله، وقال قنادة: {فأين تذهبون} أي عن كتاب الله وعن طاعته، وقوله تعالى: {إن هو إلا ذكر للعالمين} أي هذا القرآن ذكر لجميع الناس يتذكرون به ويتبعظون {من شاء منكم أن يستقيم} أي لمن أراد الهدى فعليه بهذا القرآن فإنه مناجاة له وهداية، ولا هداية فيما سواه، {وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين} أي ليست المشيئة موكولة إليكم، بل ذلك كله تابع لمشيئة الله تعالى رب العالمين، قال سفيان الثوري: لما نزلت هذه الآية: {من شاء منكم أن يستقيم} قال أبو جهل: الأمر إلينا إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم، فأنزل الله تعالى: {وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين}.

## 82 - سورة الانفطار.

[مقدمة]

قد تقدم من رواية عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من سره أن ينظر إلى القيامة رأي عين فليقرأ: {إذا الشمس كورت} و{إذا السماء انفطرت} و{إذا السماء انشقت}".

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ {1} وَإِذَا الْكَوَافِكُ انتَشَرَتْ {2} وَإِذَا الْبَحَارُ فُجِّرَتْ {3} وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ {4} عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخْرَتْ {5} يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمَ {6} الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ {7} فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكِبْكَ {8} كَلَّا بِلْ ثُكَّذْبُونَ بِالدِّينِ {9} وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ {10} كَرِاماً كَاتِبِينَ {11} يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ {12}

يقول تعالى: {إذا السماء انفطرت} أي انشقت ، كما قال تعالى: {السماء منظر به}، {وإذا الكواكب انتشرت} أي تساقطت ، {وإذا البحار فجرت} قال ابن عباس: فجر الله بعضها في بعض ، وقال الحسن: فجر الله بعضها في بعض فذهب ماؤها ، وقال قتادة: اختلط عذبها بمالحها ، وقال الكلبي: مثلث. {إذا القبور بعثرت} قال ابن عباس: بحثت . وقال السدي: تبعثر - تحرك فيخرج من فيها ، {علمت نفس ما قدمت وأخرت} أي إذا كان هذا حصل هذا ، وقوله تعالى: {يا أيها الإنسان ما غررك رببك الكريم}؟ هذا تهديد من الله للإنسان (الكلام تهديد كما قال ابن كثير ، وليس كما زعم بعضهم أنه إرشاد إلى الجواب والمعنى: ما غررك يا ابن آدم {رببك الكريم} أي العظيم، حتى أقمت على معصيته ، وقابلته بما لا يليق؟ وعن يحيى البكاء قال: سمعت ابن عمر يقول وقرأ هذه الآية: {يا أيها الإنسان ما غررك رببك الكريم} قال ابن عمر: غره والله جهله ، وقال قتادة: ما غر ابن آدم غير هذا العدو الشيطان ، وقال الفضل ابن عباس: لو قال لي: ما غررك بي؟ لقلت: ستورك المرخاة ، وقال أبو بكر الوراق: لو قال لي: ما غررك رببك الكريم؟ لقلت: غرني كرم الكريم ، وقال بعض أهل الإشارة: إنما قال رببك الكريم دون سائر أسمائه وصفاته، كأنه لقنه الإجابة ، وهذا الذي تخيله هذا القائل ليس بطائل ، لأنه إنما أتى باسمه الكريم ، لينبه على أنه لا ينبغي أن يقابل الكريم بالأفعال القبيحة وأعمال الفجور ، وقوله تعالى: {الذي خلقك فسواك فعداك} أي جعلك سوياً مستقيماً معتدل القامة ، منتسباً في أحسن الهيئات والأشكال ، روى الإمام أحمد عن بشر بن جحاش القرشي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحص يوماً في كفه ، فوضع عليها إصبعه ثم قال: "قال الله عز وجل: يا ابن آدم أتى تعجزني وقد خافت من مثل هذا؟ حتى إذا سوينتك وعدلتك مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد ، فجمعت ومنعت ، حتى إذا بلغت التراقي: قلت: أتصدق وأتى أوان الصدقة؟" (وآخر جه ابن ماجه).

وقوله تعالى: {في أي صورة ما شاء ركبك} قال مجاهد: في أي شبه أب أو أم ، أو حال أوعم ، وقال عكرمة في قوله تعالى: {في أي صورة ما شاء ركبك} إن شاء في صورة قرد ،

وإن شاء في صورة خنزير، وكذا قال أبو صالح: إن شاء في صورة كلب، وإن شاء في صورة حمار، وإن شاء في صورة خنزير، وقال قنادة: قادر والله ربنا على ذلك، ومعنى هذا القول عندهم أن الله عزَّ وجَّلَ قادر على خلق النطفة على شكل قبيح، من الحيوانات المنكرة الخلق، ولكن بقدرته ولطفه وحلمه، يخلفه على شكل حسن مستقيم، معتدل تمام حسن المنظر والهيئة، قوله تعالى: {كلا بل تكذبون بالدين} أي إنما يحملكم على مواجهة الكريم ومقابلته بالمعاصي، تكذيب قلوبكم بالمعاد والجزاء والحساب، قوله تعالى: {وإن عليكم لحافظين \* كراماً كاتبين \* يعلمون ما تفعلون} يعني وإن عليكم لملائكة حفظة كراماً، فلا تقابلواهم بالقبائح، فإنهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم، عن ابن عباس قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله ينهاك عن التعري، فاستحيوا من ملائكة الله الذين معكم الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى ثلات حالات: الغائط والجناية والغسل، فإذا اغتسل أحدكم بالعراء فليس تتر بثوبه أو بجرائم حائط أو ببعيره". وفي الحديث: "ما من حافظين يرفعان إلى الله عزَّ وجَّلَ ما حفظا في يوم فيرى في أول الصحيفة، وفي آخرها استغفارا إلا قال الله تعالى: قد غفرت لعدي ما بين طرفي الصحيفة" (أخرجه الحافظ البزار عن أنس بن مالك مرفوعاً).

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ {13} وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ {14} يَصْلُوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ {15} وَمَا هُمْ عَنْهَا بِعَابِيْنَ {16} وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ {17} ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ {18} يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ {19}

يخبر تعالى بما يصير الأبرار إليه من النعيم، وهم الذين أطاعوا الله عزَّ وجَّلَ ولم يقابلواه بالمعاصي، ثم ذكر ما يصير إليه الفجار من الجحيم والعذاب المقيم، ولهذا قال: {يَصْلُوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ} أي يوم الحساب والجزاء والقيمة، {وَمَا هُمْ عَنْهَا بِعَابِيْنَ} أي لا يغيبون عن العذاب ساعة واحدة، ولا يخفف عنهم من عذابها، ولا يجاوبون إلى ما يسألون من الموت أو الرحمة ولو يوماً واحداً، قوله تعالى: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ} تعظيم لشأن يوم القيمة، ثم أكد هذا بقوله تعالى: {ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ}، ثم فسره بقوله: {يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ شَيْئًا} أي لا يقدر أحد على نفع أحد ولا خلاصه مما هو فيه، إلا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى، وفي الحديث قال عليه السلام: "يا بني هاشم أقذوا أنفسكم من النار لا أملك لكم من الله شيئاً"، ولهذا قال: {وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ} كقوله تعالى: {لِمَنِ الْمَلْكُ الْيَوْمَ \* لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} قال قنادة: {يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ} والأمر يومئذ لله، لكنه لا ينزع عنه فيه يومئذ أحد.

## 83 - سورة المطففين.

بسم الله الرحمن الرحيم.

وَيْلٌ لِّلْمُطَفَّفِينَ {1} الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ {2} وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَّوْهُمْ  
يُخْسِرُونَ {3} أَلَا يَظْنُ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ {4} لِيَوْمٍ عَظِيمٍ {5} يَوْمٌ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ  
الْعَالَمِينَ {6}

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أثبت الناس كيلاً، فأنزل الله تعالى: {وَيْلٌ لِّلْمُطَفَّفِينَ} فحسنوا الكيل بعد ذلك (أخرجه النسائي وابن ماجه)، وروى ابن جرير، عن عبد الله قال، قال له رجل: يا أبا عبد الرحمن إن أهل المدينة ليوفون الكيل، قال: وما يمنعهم أن يوفوا الكيل، وقد قال الله تعالى: {وَيْلٌ لِّلْمُطَفَّفِينَ - حتى بلغ يوم الناس لرب العالمين》， والمراد بالتطفيف ه هنا البخس في المكيال والميزان، أما بالازدياد إن اقتضى من الناس، ولما النقصان إن قضاهم، ولهذا فسر تعالى المطففين الذين وعدهم بالخسار والهلاك بقوله تعالى: {إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ أَيُّ مِنَ النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ} أي يأخذون حقهم بالوافي والزائد، {وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَّوْهُمْ يُخْسِرُونَ} أي ينقضون، والأحسن أن يجعل "كالوا وزنوا" متعدياً ويكون (هم) في محل نصب، وقد أمر الله تعالى بالوفاء في الكيل والميزان فقال تعالى: {وَأُوفُوا الْكِيلَ إِذَا كُلِّمُتُمْ}، وقال تعالى: {وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقُسْطِ وَلَا تَخْسِرُوا الْمِيزَانَ}، وأهلك قوم شعيب ودمر لهم على ما كانوا يبخسون الناس في الميزان والمكيال، ثم قال تعالى متوداً لهم: {أَلَا يَظْنُ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ \* لِيَوْمٍ عَظِيمٍ}؟ أي ما يخاف أولئك منبعث والقيام بين يدي من يعلم السرائر والضمائر، في يوم عظيم الهمول، كثير الفزع جليل الخطب، من خسر فيه أدخل ناراً حامية؟

وقوله تعالى: {يَوْمٌ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} أي يقومون حفاة عراة، في موقف صعب حرج، ضيق على المجرم، ويعشاهم من أمر الله تعالى ما تعجز القوى والحواس عن، عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يَوْمٌ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حَتَّى يَغْبَبَ أَحَدُهُمْ فِي شَحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أَذْنِيهِ" (أخرجه البخاري ومسلم والإمام مالك)، وفي رواية لأحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يَوْمٌ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، لِعَظَمَةِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى إِنَّ الْعَرَقَ لِيَلِجِمَ الرِّجَالَ إِلَى أَنْصَافِ آذَانِهِمْ حَدِيثٌ آخَرٌ: وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنِ الْمَقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ الْكَنْدِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَدْنَيْتُ الشَّمْسَ مِنَ الْعِبَادِ حَتَّى تَكُونَ قَدْرَ مِيلٍ أَوْ مِيلَيْنِ – قَالَ – فَتَصَهَّرُ هُنَّ الشَّمْسُ فَيَكُونُونَ فِي الْعَرَقِ كَقُدْرِ أَعْمَالِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُ إِلَى عَقْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُ إِلَى رَكْبَتِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُ إِلَى حَقْوِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُ إِلَى جَامِاً" (رواوه مسلم وترمذني). حديث آخر: روى الإمام أحمد، عن عقبة بن عامر قال، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "تَدْنُوا الشَّمْسُ مِنَ الْأَرْضِ فَيُعرِقُ النَّاسَ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَبْلُغُ عَرْقَهُ عَقْبِيهِ، وَمِنَهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى نَصْفِ السَّاقِ، وَمِنَهُمْ مَنْ يَبْلُغُ رَكْبَتِيهِ، وَمِنَهُمْ مَنْ يَبْلُغُ الْعِزْزَ، وَمِنَهُمْ مَنْ يَبْلُغُ الْخَاصِرَةَ، وَمِنَهُمْ مَنْ يَبْلُغُ مَنْكِبِيهِ، وَمِنَهُمْ مَنْ يَبْلُغُ وَسْطَ فِيهِ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ فَأَلْجَمَهَا فَاه - رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير بيده هكذا - وَمِنَهُمْ مَنْ يَغْطِبُ عَرْقَهُ" وضرب بيده، إشارة ، وفي سنن أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتغزو بالله من ضيق المقام يوم القيمة، وعن ابن مسعود: يقومون أربعين سنة رافعي رؤوسهم إلى السماء لا يكلهم أحد قد ألم العرق برهم وفاجرهم.

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سَجِينٍ {7} وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ {8} كِتَابٌ مَرْقُومٌ {9} وَيَلْ يَوْمَنْدَ لِلْمُكَذِّبِينَ {10} الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ يَوْمَ الدِّينِ {11} وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْنَدٌ أَثِيمٌ {12} إِذَا تُشَلَّى عَلَيْهِ آيَاتِنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ {13} كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ {14} كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَنْدَ لِمَحْجُوبِينَ {15} ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ {16} ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ {17}

يقول تعالى حقاً: {إن كتاب الفجار لفي سجين} أي أن مصيرهم وأماواهم {لفي سجين} فعيل من السجن ، وهو الضيق كما يقال: ضيق وخمير وسگير ونحو ذلك، ولهذا عظم أمره فقال تعالى: {ما أدراك ما سجين؟} أي هو أمر عظيم ، وسجين مقيم ، وعذاب أليم ، ثم قال قائلون: هي تحت الأرض السابعة ، وقد نقدم في حديث البراء بن عازب يقول الله عزوجل في روح الكافر "اكتبا كتابه في سجين" ، وقيل: بئر في جهنم ، وال الصحيح أن سجينًا مأخذ من السجن وهو الضيق ، فإن المخلوقات كل ما ت safل منها ضاق وكل ما تعلى منها اتسع ، ولما كان مصير الفجار إلى جهنم وهي أسفل السافلين ، كما قال تعالى: {ثم رددناه أسفل السافلين \* إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحة} وقال هنا: {كلا إن كتاب الفجار لفي سجين وما أدراك ما سجين} وهو يجمع الضيق والسفول كما قال تعالى: {وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنین دعوا هنالك ثبوراً} ، قوله تعالى: {كتاب مرقوم} ليس تفسيراً لقوله: {وما أدراك ما سجين} ، وإنما هو تفسير لما كتب لهم من المصير إلى سجين ، أي مرقوم مكتوب مفروغ منه، لا يزيد فيه أحد ولا يتقص منه أحد.

ثم قال تعالى: {وَيَلْ يَوْمَنْدَ لِلْمُكَذِّبِينَ} أي إذا صاروا يوم القيمة إلى ما أوعدهم الله من السجن والعذاب المهين ، {ويَلْ} لهم والمراد من ذلك الهلاك والدمار كما يقال: ويل لفلان ، ثم قال تعالى: مفسراً للمكذبين الفجار الكفرة: {الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ يَوْمَ الدِّينِ} أي لا يصدقون بوعده ، ولا يعتقدون كونه ، ويستبعدون أمره ، قال الله تعالى: {وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْنَدٌ أَثِيمٌ} أي معند في أفعاله من تعاطي الحرام ، والمجاوزة في تناول المباح ، والآثيم في أقواله إن حدث كذب ، وإن وعد أخلف ، وإن خاصم فجر .

وقوله تعالى: {إِذَا تُنَلِّى عَلَيْهِ آيَاتِنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} أي إذا سمع كلام الله تعالى من الرسول يكذب به ، ويظن به ظن السوء ، فيعتقد أنه مقتول مجموع من كتب الأوائل ، كما قال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} ، وقال تعالى: {وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَبْهَا فَهِيَ تَمَلِّي عَلَيْهِ بَكْرَةً وَأَصْبَلَمْ} قال الله تعالى: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} أي ليس الأمر كما زعموا ، ولا كما قالوا: إن هذا القرآن أسطير الأولين ، بل هو كلام الله ووحيه وتنتزيله على رسوله صلى الله عليه وسلم ، وإنما حب قلوبهم عن الإيمان به ، ما عليها من الرizin الذي قد لبس قلوبهم ، من كثرة الذنوب والخطايا ، ولهذا قال تعالى: {مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} والرين يعتري قلوب الكافرين ، والغين للمقربين ، وقد روى الترمذى والنمسانى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن العبد إذا أذنب

ذنبًا كانت نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب منها صقل قلبه ، وإن زاد زادت ، فذلك قول الله تعالى: {كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون} (وقال الترمذى: حسن صحيح) ولفظ النسائي: "إن العبد إذا أخطأ نكت في قلبه نكتة سوداء ، فإن هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه ، فإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه ، فهو الران الذي قال الله تعالى: {كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون}" (وقد رواه أحمد بنحوه). وقال الحسن البصري: هو الذنب حتى يعمى القلب فيموت (وكذا قال مجاهد وقتادة وابن زيد).

وقوله تعالى: {كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحبوون} أي ثم هم يوم القيمة محبوون عن رؤية ربهم وحالفهم، قال الإمام الشافعى: وفي هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرون عز وجل يومئذ، وهذا الذى قاله في غاية الحسن، وهو استدلال بمفهوم هذه الآية، كما دل عليه منطق قوله تعالى: {وجوه يومئذ ناصرة إلى ربها ناظرة}، وكما دلت على ذلك الأحاديث الصاحح المتواترة، في رؤية المؤمنين ربهم عز وجل في الدار الآخرة ، قال الحسن: يكشف الحجاب فينظر إليه المؤمنون والكافرون، ثم يحجب عنه الكافرون، وينظر إليه المؤمنون كل يوم غدوة وعشية، وقوله تعالى: {ثم إنهم لصالوا الجحيم} أي ثم هم مع هذا الحرمان عن رؤية الرحمن، من أهل النيران، {ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون} أي يقال لهم ذلك، على وجه التقرير والتوبیخ، والتصحیر والتحقیر.

**كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيْنَا {18} وَمَا أَدْرَاكُ مَا عَلَيْنَ {19} كِتَابٌ مَرْفُومٌ {20} يَشْهَدُهُ  
الْمُقْرَبُونَ {21} إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ {22} عَلَى الْأَرَائِكَ يَنْظُرُونَ {23} تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ  
نَصْرَةً النَّعِيمِ {24} يُسْقَوْنَ مِنْ رَحْقِ مَحْنُوتٍ {25} خَتَامُهُ مَسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلَيَتَّسَافِسِ  
الْمُتَنَاسِفُونَ {26} وَمِزاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ {27} عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقْرَبُونَ {28}**

يقول تعالى: حقاً إن كتاب الأبرار - وهم بخلاف الفجار - {لفي عليين} أي مصيرهم إلى عليين وهو بخلاف سجين، روى الأعمش عن هلال بن يساف قال: سال ابن عباس كعباً - وأنا حاضر - عن سجين؟ قال: هي الأرض السابعة وفيها أرواح الكفار، وسأل الله عن عليين؟ فقال: هي السماء السابعة وفيها أرواح المؤمنين (وهكذا قال غير واحد من السلف أنها السماء السابعة)، وقال ابن عباس: {لفي عليين} يعني الجنة، وفي رواية عنه: أعمالهم في السماء عند الله، وقال قتادة: عليون ساق العرش اليمنى، وقال غيره: عليون عند سدرة المنتهى، والظاهر أن عليين مأخوذ من العلو، وكلما علا الشيء وارتفع عظم واتسع ، ولهذا قال تعالى ممعظما أمره ومفهما شأنه: {وما أدراك ما عليين}؟ ثم قال تعالى مؤكداً لما كتب لهم: {كتاب مرقوم يشهد المقربون} وهم الملائكة قاله قتادة، وقال ابن عباس: يشهدون من كل سماء مقربوها.

ثم قال تعالى: {إن الأبرار لفي نعيم} أي يوم القيمة هم في نعيم مقيم، وجنات فيها فضل عالم {وعلى الأرائك} وهي السرر تحت الحال {ينظرون} قيل: معناه ينظرون في ملکهم، وما أعطاهم الله من الخير، والفضل الذي لا ينضي ولا يبيد، وقيل: معناه {على الأرائك ينظرون} إلى الله عز وجل ، كما تقدم في حديث ابن عمر: "إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن

ينظر في ملوكه مسيرة ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه وإن أعلاهم لم ينظر إلى الله عز وجل في اليوم مرتين". قوله تعالى: {تَعْرِفُ فِي وجوهِهِمْ نَصْرَةَ النَّعِيمِ} أي تعرف إذا نظرت إليهم في وجوههم {نَصْرَةَ النَّعِيمِ} أي صفة الترافة والسرور، والدعة والرياسة ، مما هم فيه من النعيم العظيم. قوله تعالى: {يَسْقُونَ مِنْ رَحِيقٍ مُخْتَومٍ} أي يسقون من خمر من الجنة ، والرحيق من أسماء الخمر (وهو قول ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة) ، وقال ابن مسعود في قوله: {خَتَّامَهُ مَسْكٌ} أي خلطه مسك ، وقال ابن عباس: طيب الله لهم الخمر ، فكان آخر شيء جعل فيها مسك ختم بمسك ، وقال الحسن: عاقبته مسك ، وقال ابن جرير، عن أبي الدرداء: {خَتَّامَهُ مَسْكٌ} قال: شراب أبيض مثل الفضة يخمون به شرابهم ، ولو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل أصبعه فيه ثم أخرجها، لم يبق ذو روح إلا وجده طيبها ، وقال مجاهد: {خَتَّامَهُ مَسْكٌ} طيبه مسك ، وقوله تعالى: {وَفِي ذَلِكَ فَلَيَتَنَافَسُ الْمُتَنَافِسُونَ} أي وفي مثل هذا الحال فليتقاخص المتأخرون، وليتباها وليسنوا إلى منه المستبكون قوله تعالى: {لِمَنْشُرِّفُ الْعَالَمُونَ} ، وقوله تعالى: {وَمَزَاجَهُ مِنْ تَسْنِيمٍ} أي مزاج هذا الرحيق الموصوف {من تسنيم} أي من شراب يقال له تسنيم ، وهو أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه ، ولهذا قال: {عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمَقْرِبُونَ} أي يشربها المقربون صرفاً، وتمزج لأصحاب اليمين مرجاً (قاله ابن مسعود وابن عباس ومسروق وقتادة وغيرهم).

إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ {29} وَإِذَا مَرُوا بِهِمْ يَتَغَامِزُونَ {30} وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكَهِينَ {31} وَإِذَا رَأُوهُمْ قَالُوا إِنَّ هُؤُلَاءِ لَضَالُّونَ {32} وَمَا أَرْسَلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ {33} فَالْيَوْمُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ {34} عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ {35} هُلْ ثُوَّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَعْلَمُونَ {36}

يخبر تعالى عن المجرمين، أنهم كانوا في الدار الدنيا يضحكون من المؤمنين ، أي يستهزئون بهم ويحتقرنهم ، وإذا مروا بالمؤمنين يتغامزون عليهم أي محتقرين لهم {وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين} أي وإذا انقلب: أي رجع هؤلاء المجرمون إلى منازلهم انقلبوا إليها فاكهين، أي مهما طلبوا وجدوا، ومع هذا ما شكرروا نعمة الله عليهم، بل اشتغلوا بالقوم المؤمنين يحقرونهم ويحسدونهم {وإذا رأوهـم قالوا إن هؤلاء لضالـون} أي لكونهم على غير دينهم ، قال الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ} أي وما بعث هؤلاء المجرمون، حافظين على هؤلاء المؤمنين، ما يصدر عنهم من أعمالهم وأقوالهم ، ولا كلفوا بهم ، فلم اشتغلوا بهم وجعلوـهم نصب أعينـهم؟ كما قال تعالى: {إِنَّهُ كَانَ فِرِيقٌ مِنْ عَبَادِي يَقُولُونَ رَبُّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ}. فاتخذـتهم سخـرياً حتى أنسـوكـم ذـكري وكتـمـ منـهم تضـحكـونـ، ولـهـذا قالـ هـنـا: {فَالْيَوْمُ} يعني يوم القيـمة {الذـينـ آمـنـواـ مـنـ الـكـفـارـ يـضـحـكـونـ} أي في مقابلـةـ ما ضـحـكـ بهـمـ أوـلـئـكـ {عـلـىـ الـأـرـائـكـ يـنـظـرـونـ} أي إـلـىـ اللهـ عـزـ وـجـلـ ، يـنـظـرـونـ إـلـىـ رـبـهـمـ فـيـ دـارـ كـرـامـتـهـ ، وـقـوـلـهـ تـعـالـىـ: {هـلـ ثـوـبـ الـكـفـارـ مـاـ كـانـواـ يـفـعـلـونـ}؟ـ أيـ هلـ جـوزـيـ الكـفـارـ عـلـىـ مـاـ كـانـواـ يـقـابـلـونـ بـهـ الـمـؤـمـنـينـ ، مـنـ الـاـسـتـهـزـاءـ وـالـسـخـرـيـةـ أـمـ لـاـ ، يـعـنـيـ قـدـ جـوزـواـ أـوـفـ الـجـزـاءـ وـأـتـهـ وـأـكـملـهـ.

## 84 - سورة الانشقاق.

[مقدمة]

روى البخاري، عن أبي رافع قال: "صَلَّيْتُ مَعَ أَبِيهِ هَرِيرَةَ الْعَتْمَةَ فَقَرَأَ: {إِذَا السَّمَاءُ انشَقَتْ} فَسَجَدَ، فَقَلَّتْ لَهُ، فَقَالَ: سَجَدْتُ خَلْفَ أَبِيهِ الْفَالِسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا أَزَالُ أَسْجُدُ بِهَا حَتَّى الْقَاهِ" (وأخرج مسلم والنمسائي).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَتْ {1} وَأَذَنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ {2} وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ {3} وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ {4} وَأَذَنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ {5} يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ {6} فَمَآمَا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ {7} فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حَسَابًا يَسِيرًا {8} وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا {9} وَمَآمَا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَأَءَ ظَهْرَهُ {10} فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبورًا {11} وَيَصْلَى سَعِيرًا {12} إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا {13} إِنَّهُ ظَنَّ أَنَّ لَنْ يَحُورَ {14} بَلِّي إِنْ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا {15}

يقول تعالى: {إِذَا السَّمَاءُ انشَقَتْ} وذلك يوم القيمة ، {وَأَذَنَتْ لِرَبِّهَا} أي استمعت لربها وأطاعت أمره فيما أمرها به من الانشقاق، وذلك يوم القيمة {وَحَقَّتْ} أي وحق لها أن تطيع أمره ، لأن العظيم الذي لا يمانع ولا يغالب ، بل قد قهر كل شيء وذل له كل شيء ، ثم قال: {وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ} أي بسطت وفرشت ووسيع ، وفي الحديث "إذا كان يوم القيمة مد الله الأرض مد الأديم ، حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه" (أخرجه ابن جرير عن علي بن الحسين مرفوعاً). قوله تعالى: {وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ} أي ألقى ما في بطنه من الأموات وتخلت عنهم ، {وَأَذَنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ} كما تقدم ، قوله: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادَحَ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا} أي إنك ساع إلى ربك سعيًا وعامل عملاً [فلقاقيه] ثم إنك ستلقى ما عملت من خير أو شر ، عن جابر قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قال جبريل: يا محمد عش ما شئت فإنك ميت ، وأحب ما شئت فإنك مفارقك ، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه" (أخرجه أبو داود الطيالسي) ، ومن الناس من يعبد الضمير على قوله {ربك} أي فلاق ربك ومعناه فيجازيك بعملك ويكافئك على سعيك ، قال ابن عباس: تعمل عملاً تلقى الله به خيراً كان أو شرًا ، وقال قتادة: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادَحَ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا} إن كدحك يا ابن آدم لضعف ، فمن استطاع أن يكون كدحه في طاعة الله فليفعل ولا قوة إلا بالله ، ثم قال تعالى: {فَمَآمَا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حَسَابًا يَسِيرًا} أي سهلاً بلا تعسير أي لا يتحقق عليه جميع دقائق أعماله ، فإن من حوسب كذلك هلك لا محالة ، روى الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من نوقش الحساب عذب" ، قالت، فقلت: أفلéis قال الله تعالى: {فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حَسَابًا يَسِيرًا} ، قال: "ليس ذاك بالحساب ، ولكن ذلك العرض ، من نوقش الحساب يوم القيمة عذب" (والبخاري ومسلم والترمذى والنمسائي) . وروى ابن جرير ، عن عائشة رضي الله عنها قالت؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَحْاسِبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَعْذِنْبًا" ، فقلت: أليس الله يقول {فسوف يحاسب حساباً يسيراً}؟ قال: "ذاك العرض ، إنه من نوقش الحساب عذب" ، قال بيده على

إصبعه كأنه ينكت (أخرجه الشيخان). وفي رواية عن عائشة قالت: "من نوتش الحساب – أو من حوسب – عذب، ثم قالت: إنما الحساب اليسير عرض على الله تعالى وهو يراهم" (رواه ابن جرير).

وقوله تعالى: {وينقلب إلى أهله مسروراً} أي ويرجع إلى أهله في الجنة {مسروراً} أي فرحاً مغتبطاً بما أعطاه الله عزَّ وجلَّ، وقد روى الطبراني عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: إنكم تعملون أعمالاً لا تعرف، ويوشك الغائب أن يثوب إلى أهله فمسروراً أو مكظوماً (أخرجه الطبراني). وقوله تعالى: {وأما من أوتني كتابه وراء ظهره} أي بشماله من وراء ظهره تثنى يده إلى ورائه، ويعطى كتابه بها كذلك {فسوف يدعوك ثبوراً} أي خساراً وهلاكاً {ويصلى سعيراً} إنه كان في أهله مسروراً أي فرحاً لا يفك بالعواقب، ولا يخاف مما أمامه فأعقبه ذلك الفرح اليسير الحزن الطويل، {إنه ظنَّ أن لن يحور} أي كان يعتقد أنه لا يرجع إلى الله، ولا يعيده بعد موته، قال ابن عباس وقتادة وغيرهما، والحرور هو الرجوع، قال الله: {بلى إن ربه كان به بصيراً} يعني بلى سيعيده الله كما بدأ ويجازيه على أعماله خيراً وشرها فإنه {كان به بصيراً} أي عليماً خيراً.

**فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ {16} وَاللَّيلِ وَمَا وَسَقَ {17} وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ {18} لَتَرْكَبُنَ طَبَقاً عَنْ طَبَقِ {19} فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ {20} وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ {21} بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ {22} وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوَعِّدُونَ {23} فَبَشِّرُهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ {24} إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ {25}**

قال علي وابن عباس: {الشفق} الحمرة، وقال عبد الرزاق ، عن أبي هريرة: {الشفق} البياض، فالشفق هو حمرة الأفق، إما قبل طلوع الشمس، كما قاله مجاهد، وإما بعد غروبها كما هو معروف عند أهل اللغة، قال الخليل: الشفق: الحمرة من غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة، فإذا ذهب قيل: غاب الشفق، وفي الحديث: "وقت المغرب ما لم يغب الشفق" (أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو)، ولكن صح عن مجاهد أنه قال في هذه الآية: {فلا أقسم بالشفق} هو النهار كله، وإنما حمله على هذا قوله تعالى: {والليل وما وسق} أي جمع، كأنه أقسم بالضياء والظلم، قال ابن جرير: أقسم الله بالنهار مدبراً وبالليل مقبلاً، وقال آخرون: الشفق اسم للحمرة والبياض، وهو من الأضداد. قال ابن عباس ومجاهد: {وما وسق} وما جمع، قال قتادة: وما جمع من نجم ودببة، وقال عكرمة: ما ساق من ظلمة إذا كان الليل ذهب كل شيء إلى مأواه، وقوله تعالى: {والقمр إذا اتسق} قال ابن عباس: إذا اجتمع واستوى، وقال الحسن: إذا اجتمع وامتلأ، وقال قتادة: إذا استدار، ومعنى كلامهم إنه إذا تكامل نوره وأبدى جعله مقابل الليل وما وسق.

وقوله تعالى: {لتربكن طبقاً عن طبق} قال البخاري، قال ابن عباس: {لتربكن طبقاً عن طبق} حالاً بعد حال، قال: هذا نبيكم صلى الله عليه وسلم ، وقال الشعبي {لتربكن طبقاً عن طبق} قال: لتركتين يا محمد سماء بعد سماء، يعني ليلة الإسراء، وقيل: {طبقاً عن طبق} منزلاً على

منزل، ويقال: أمراً بعد أمر، وحالاً بعد حال (هي رواية العوفي عن ابن عباس)، وقال السدي: {لتركين سenn من كان قبلكم منزلًا بعد منزل، وكأنه أراد معنى الحديث الصحيح: "لتركين سenn من كان قبلكم حذو الفضة بالفضة ، حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه" ، قالوا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: "فمن؟". وقال ابن مسعود: {طبقاً عن طبق} السماء مرة كالدهان، ومرة تنشق، وقال سعيد بن جبير {لتركين طبقاً عن طبق} قال: قوم كانوا في الدنيا خسيسٌ أمرهم فارتفعوا في الآخرة، وآخرون كانوا أشرافاً في الدنيا فاتضعوا في الآخرة، وقال عكرمة: {طبقاً عن طبق} حالاً بعد حال فطيمًا بعد ما كان رضيعاً، وشيخاً بعد ما كان شاباً، وقال الحسن البصري: {طبقاً عن طبق} يقول: حالاً بعد حال، رخاء بعد شدة، وشدة بعد رخاء، وغنى بعد فقر، وفقراً بعد غنى، وصحة بعد سقم، وسقاً بعد صحة. ثم قال ابن جرير: والصواب من التأويل قول من قال: لتركين أنت يا محمد حالاً بعد حال، وأمراً بعد أمر من الشدائدين، والمراد بذلك – وإن كان الخطاب موجهاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم – جميع الناس، وأنهم يلقون من الشدائدين يوم القيمة وأحواله أهواً.

وقوله تعالى: {فما لهم لا يؤمنون وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون} أي فماذا يمنعهم من الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر، وما لهم إذا قرئت عليهم آيات الله وهو هذا القرآن لا يسجدون إعظاماً وإكرااماً واحتراماً؟ وقوله تعالى: {بل الذين كفرا يكذبون} أي من سجيتهم التكذيب والعناد والمخلافة للحق، {والله أعلم بما يوعون} قال مجاهد وقتادة: يكتمون في صدورهم، {فيبشرهم بعذاب أليم} أي فأخبرهم يا محمد بأن الله عز وجل قد أعد لهم عذاباً أليماً.

وقوله تعالى: {إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات} هذا استثناء منقطع يعني لكن الذين آمنوا أي بقلوبهم {و عملوا الصالحات} أي بجوارهم {لهم أجر} أي في الدار الآخرة {غير ممنون} قال ابن عباس: غير منقوص، وقال مجاهد: غير محسوب، وحاصل قولهما: أنه غير مقطوع، كما قال تعالى: {عطاء غير مجنوذ}، وقال السدي: قال بعضهم: غير ممنون: غير منقوص، وقال بعضهم: غير ممنون عليهم، وهذا القول قد أنكره غير واحد، فإن الله عز وجل له المنة على أهل الجنة، في كل حال وأن لحظة، وإنما دخلوها بفضله ورحمته لا بأعمالهم، فله عليهم المنة دائماً سرمداً، والحمد لله وحده أبداً.

## 85 - سورة البروج.

[مقدمة]

روى الإمام أحمد عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في العشاء الآخرة بالسماء ذات البروج، والسماء والطارق.

بسم الله الرحمن الرحيم.

وَالسَّمَاءُ ذَاتُ الْبُرُوجِ {1} وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ {2} وَشَاهِدٌ وَمَشْهُودٌ {3} قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ {4} النَّارُ ذَاتُ الْوَقْدَ {5} إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٍ {6} وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شَهُودٌ {7} وَمَا نَقْمُدُ مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ {8} الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ {9} إِنَّ الَّذِينَ فَسَّرُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يُؤْتُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ الْحَرِيقِ {10}

يقسم تعالى بالسماء وببروجها وهي النجوم العظام، قال ابن عباس: البروج النجوم، وقال يحيى بن رافع: البروج قصور في السماء، وقال المنھال بن عمرو: {والسماء ذات البروج} الخلق الحسن، واختار ابن حرير أنها منازل الشمس والقمر، وهي اثنا عشر برجاً تسير الشمس في كل واحد منها شهراً، وي sisير القمر في كل واحد منها يومين وتلثاً، فذلك ثماني عشرة منزلة ويستتر ليالٍتين، وقوله تعالى: {والليوم الموعود شاهد مشهود} اختلف المفسرون في ذلك فروي عن أبي هريرة مرفوعاً {والليوم الموعود} يوم القيمة، {شاهد} يوم الجمعة، {مشهود} يوم عرفة (آخره ابن أبي حاتم، والأشباه أنه موقوف على أبي هريرة). روى الإمام أحمد، عن أبي هريرة أنه قال في هذه الآية {شاهد مشهود} قال: الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة، والموعود يوم القيمة. وعن سعيد بن المسيب أنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن سيد الأيام يوم الجمعة، وهو الشاهد، والمشهود يوم عرفة" (هذا من مراسيل سعيد بن المسيب). وروى ابن حرير عن ابن عباس قال: الشاهد هو محمد صلى الله عليه وسلم، والمشهود يوم القيمة. ثم قرأ: {ذلِكَ يَوْمٌ مُجَمُوعٌ لِهِ النَّاسُ وَذلِكَ يَوْمٌ مُشَهُودٌ}. وسأل رجل الحسن بن علي عن {شاهد مشهود} فقال: سألت أحداً قبلني؟ قال: نعم، سألت ابن عمرو وابن الزبير فقالا: يوم الذبح ويوم الجمعة، فقال: لا، ولكن الشاهد هو محمد صلى الله عليه وسلم، ثم قرأ: {إِنَّمَا شَهِيدٌ وَجَنَّتْ بَكَ عَلَىٰ هُولَاءِ شَهِيداً} والمشهود يوم القيمة، ثم قرأ: {ذلِكَ يَوْمٌ مُجَمُوعٌ لِهِ النَّاسُ وَذلِكَ يَوْمٌ مُشَهُودٌ} (آخره ابن حرير أيضاً) وهكذا قال الحسن البصري، وقال مجاهد والضحاك: الشاهد ابن آدم، والمشهود يوم القيمة؛ وعن عكرمة: الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم، والمشهود يوم الجمعة، وقال ابن عباس: الشاهد الله، والمشهود يوم القيمة، وقال ابن أبي حاتم عن مجاهد عن ابن عباس {شاهد مشهود} قال: الشاهد الإنسان، والمشهود يوم الجمعة ، وقال ابن حرير، عن ابن عباس: {شاهد مشهود} الشاهد يوم عرفة، والمشهود يوم القيمة، قال ابن حرير: وقال آخرون: {المشهود} يوم الجمعة، وعن سعيد بن جبير: الشاهد الله، وتلا: {وكفى بالله شهيداً} والمشهود نحن (حكاية البغوي)، وقال الأكثرون على أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة.

وقوله تعالى: {قتل أصحاب الأخدود} أي لعن أصحاب الأخدود، وجمعه أخدید وهي الحفر في الأرض، وهذا خبر عن قوم من الكفار عدوا إلى من عندهم من المؤمنين بالله عز وجل فقهروهم، وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم فأبوا عليهم، فحرقوا لهم في الأرض أخدوداً، وأججو فيه ناراً، وأعدوا لها وقوداً يسعرونها به، ثم أرادوهم فلم يقبلوا منهم، فندفوا بهم فيها،

ولهذا قال الله تعالى: {قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود \* إذ هم عليها قعود \* وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود} أي مشاهدون لما يفعل بأولئك المؤمنين. قال الله تعالى: {وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد} أي وما كان لهم ذنب إلا إيمانهم بالله {العزيز} الذي لا يضام من لاذ بجناه، {الحميد} في جميع أقواله وأفعاله وشرعه وقرره، ثم قال تعالى: {الذي له ملك السماوات والأرض} من تمام الصفة أنه المالك لجميع السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، {والله على كل شيء شهيد} أي لا يغيب عنه شيء في جميع السماوات والأرض، ولا تخفي عليه خافية، وقد اختلف أهل التفسير في أهل هذه القصة من هم؟ فعن علي أنهم أهل فارس، حين أراد ملتهم تحليل تزويج المحارم فامتنع عليه علماؤهم، فعمد إلى حفر أخدود فقف فيه من أنكر عليه منهم، واستمر فيهم تحليل المحارم إلى اليوم. وعن ابن عباس قال: ناس منبني إسرائيل خدوا أخدوداً في الأرض، ثم أوقدوا فيه ناراً، ثم أقاموا على ذلك الأخدود رجالاً ونساء، فعرضوا عليها، وزعموا أنه دانيال وأصحابه، وقيل غير ذلك.

وقد روى الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب الرومي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كان فيمن كان قبلكم ملك، وكان له ساحر، فلما كبر الساحر قال الملك: إني قد كبر سني وحضر أجي، فادفع إلي غلاماً لأعلمه السحر، فدفع إليه غلاماً كان يعلمه السحر، وكان بين الساحر وبين الملك راهب، فأتى الغلام على الراهب، فسمع من كلامه فأعجبه نحوه وكلامه، وكان إذا أتى الساحر ضربه، وقال: ما حبسك؟ وإذا أتى أهله ضربوه، وقالوا ما حبسك؟ فشكوا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا أراد الساحر أن يضررك فقل: حبسني أهلي، وإذا أراد أهلك أن يضررك فقل: حبسني الساحر، قال: في بينما ذات يوم إذ أتى على دابة فظيعة عظيمة قد حبس الناس فلا يستطيعون أن يجوزوا، فقال: اليوم أعلم: أمر الراهب أحب إلى الله أم أمر الساحر؟ قال، فأخذ حجرأ، فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك وأرضى من أمر الساحر فاقتلت هذه الدابة حتى يجوز الناس، ورمها فقتلها، ومضى الناس، فأخبر الراهب بذلك، فقال: أيبني أنت أفضل مني، وإنك ستبلى، فإن ابنتي فلا تدلّ على، فكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص وسائر الأدواء ويسفيهم، وكان للملك جليس، فعمي، فسمع به، فأتاه بهدايا كثيرة فقال: أشفني ولك ما هنا أجمع، فقال: ما أنا أشفي أحداً، إنما يشفي الله عزوجل، فإن آمنت به دعوت الله شفاك، فآمن فدعوا الله شفاه، ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس، فقال الملك: يا فلان من رد عليك بصرك؟ فقال: رب؟ قال: أنا! قال: لا، ربى وربك الله، قال: ولك رب غيري؟ قال: نعم، ربى وربك الله، فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فبعث إليه فقال: أيبني بلغ من سحرك أن تبرئ الأكمه والأبرص وهذه الأدواء؟ قال: ما أشفي أحداً إنما يشفي الله عزوجل. قال: أنا؟ قال: لا، قال: أولك رب غيري؟ قال: ربى وربك الله، فأخذه أيضاً بالعذاب، فلم يزل به حتى دل على الراهب، فأتى بالراهب، فقال: ارجع عن دينك، فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شفاه، وقال للأعمى: ارجع عن دينك فأبى، فوضع المنشار في نفر إلى جبل كذا وكذا، وقال: إذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإن فدهدهوه، فذهبوا به فلما علوا به الجبل قال: اللهم اكتفيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل، فدهدهوا أجمعون، وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك، فقال: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى، فبعث به مع نفر في قرقور، فقال: إذا لجهتم به البحر، فإن رجع عن دينه وإن فغرقوه في البحر،

فاجروا به البحر، فقال الغلام: اللهم اكفيهم بما شئت فغرقوا أجمعون، وجاء الغلام حتى دخل على الملك، فقال: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله تعالى، ثم قال الملك: إنك لست بقائي حتى تفعل ما أمرك به، فإن أنت فعلت ما أمرك به قتلني، وإلا فإنك لا تستطيع قتلي، قال: وما هو، قال: تجمع الناس في صعيد واحد، ثم تصلبني على جذع، وتأخذ سهماً من كنانتي، ثم قل: باسم الله رب الغلام، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فعل ووضع السهم في كبد قوسه، ثم رماه وقال: باسم الله رب الغلام، فوقع السهم في صدغه فوضع الغلام يده على موضع السهم، ومات، فقال الناس: آمنا برب الغلام. فقيل للملك: أرأيت ما كنت تحدّر؟ فقد والله نزل بك؛ قد آمن الناس كلهم، فأمر بأفواه السكك فخذت فيها الأحاديد، وأضرمت فيها النيران، وقال: من رجع عن دينه فدعوه وإلا فاقحوه فيها، قال: فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون، فجاءت امرأة بابن لها ترضعه، فكأنها تقاعست أن تقع في النار، فقال الصبي: اصبري يا أماه فإنك على الحق (ورواه مسلم والنسائي بنحوه).

وروى ابن أبي حاتم، عن الربيع بن أنس في قوله تعالى: {قتل أصحاب الأخدود} قال: سمعنا أنهم كانوا قوماً في زمان الفترة، فلما رأوا ما وقع في الناس من الفتنة والشر، وصاروا أحزاباً كل حزب بما لديهم فرhone، اعتزلوا إلى قرية سكنوها وأقاموا على عبادة الله مخلصين له الدين، فكان هذا أمرهم حتى سمع بهم جبار من الجبارين وحدث حديثهم فارسل إليهم، فأمرهم أن يعبدوا الأواثن التي اتخذوا وأنهم أبو عليه كلهم، وقالوا: لا نعبد إلا الله وحده لا شريك له، فقال لهم: إن لم تعبدوا هذه الآلة التي عبّدت فإني قاتلكم، فأبوا عليه، فخدا أخدوداً من نار، وقال لهم الجبار بعد أن وقفهم عليها، اختاروا هذه أو الذي نحن فيه، فقالوا: هذه أحب إلينا وفيهم نساء وذرية، ففرزت الذرية، فقالوا لهم - أي آباوهم: لا نار من بعد اليوم، فوقعوا فيها، فقبضت أرواحهم من قبل أن يمسهم حرها، وخرجت النار من مكانها فأحاطت بالجبارين، فأحرقهم الله بها، ففي ذلك أنزَل الله عزَّ وجلَّ: {قتل أصحاب الأخدود \* النار ذات الوقود \* إذ هم عليها قعود \* وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود \* وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد \* الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد} (وروى محمد بن إسحاق قصة أصحاب الأخدود بسياق آخر وأنها كانت مع عبد الله بن التامر وأصحابه المؤمنين في نجران، والله أعلم)، وقوله تعالى: {إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات أي حرقوا، قاله ابن عباس ومجاحد {إِنْ لَمْ يَتُوبُوا} أي لم يقلعوا عمما فعلوا ويندموا على ما أسلفوا {فَلَهُمْ عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق} وذلك أن الجزاء من جنس العمل، قال الحسن البصري: انظروا إلى هذا الكرم والجود قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة).

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ {11} إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ {12} إِنَّهُ هُوَ يُنْدِئُ وَيُعِيدُ {13} وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ {14} ذُرِّ الْعَرْشِ الْمَجِيدُ {15} فَعَالَ لَمَا يُرِيدُ {16} هَلْ أَتَكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ {17} فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ {18} بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ {19} وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُّحِيطٌ {20} بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ {21} فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ {22}

يُخبر تعالى عن عباده المؤمنين أن {لهم جنات تجري من تحتها الأنهر} بخلاف ما أعد لأعدائه من الحريق والجحيم، ولهذا قال: {ذلك الفوز الكبير}، ثم قال تعالى: {إن بطش ربك لشديد} أي إن بطشه وانتقامه من أعدائه، الذين كذبوا رسلاه وخالفو أمره، لشديد عظيم قوي، فإنه تعالى ذو القوة المتين، ولهذا قال تعالى: {إنه هو بيده ويعيد} أي من قوته وفترته التامة، بيديه ويعيده، كما بدأه بلا ممانع ولا مدافعة {وهو الغفور الوود} أي يغفر ذنب من تاب إليه وخضع لديه، و{الودود} قال ابن عباس: هو الحبيب {ذو العرش} أي صاحب العرش العظيم العالي على جميع الخلق. و{المجيد} فيه قراءتان: الرفع على أنه صفة للرب عزوجل، والجر على أنه صفة للعرش، وكلاهما معنى صحيح، {فَعَالَ لِمَا يَرِيدُ} أي مهما أراد فعله لا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل لعظمته وقهره وعدله، كما رويانا عن أبي بكر الصديق أنه قيل له وهو في مرض الموت: هل نظر إليك الطبيب، قال: نعم، قالوا: فما قال لك؟ قال لي: إني فعل لما أريد، وقوله تعالى: {هل أتاك حديث الجنود \*} فرعون وثمود أي هل بلغك ما أحل الله بهم من البأس، وأنزل عليهم من النقم التي لم يردها عنهم أحد؟ وهذا تقرير لقوله تعالى: {إن بطش ربك لشديد} أي إذا أخذ الظالم أخذ أخذاً أليماً شديداً أخذ عزيز مقدر، عن عمرو بن ميمون قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم على امرأة تقرأ: {هل أتاك حديث الجنود} فقام يستمع فقال: "نعم قد جاءني" (آخرجه ابن أبي حاتم).

وقوله تعالى: {بل الذين كفروا في تكذيب} أي هم في شك وريب وكفر وعناد، {والله من ورائهم محيط} أي هو قادر عليهم قاهر لا يفوتونه ولا يعجزونه، {بل هو قرآن مجید} أي عظيم كريم، {في لوح محفوظ} أي هو في الملا الأعلى، محفوظ من الزيادة والنقص، والتحريف والتبييل، روى ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن سلمان قال: "ما من شيء قضى الله، القرآن فما قبله وما بعده، إلا وهو في اللوح المحفوظ، واللوح المحفوظ بين عيني إسرافيل لا يؤذن له بالنظر فيه" (آخرجه ابن أبي حاتم). وقال الحسن البصري: إن هذا القرآن المجيد عند الله في لوح محفوظ، ينزل منه ما يشاء على من يشاء من خلقه، وقد روى البغوي عن ابن عباس قال: "إن في صدر اللوح: لا إله إلا الله وحده، دينه الإسلام، ومحمد عبده ورسوله، فمن آمن بالله وصدق بواعده واتبع رسالته أدخله الجنة" (آخرجه البغوي). وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله تعالى خلق لوحًا محفوظاً من درة بيضاء صفحاتها من ياقوتة حمراء، قلمه نور، وكتابه نور، الله فيه في كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة، يخلق ويرزق ويميت ويحيي ويعز ويذل ويفعل ما يشاء" (آخرجه الطبراني).

## 86 - سورة الطارق.

[مقدمة]

روى النسائي عن جابر بن عبد الله قال: صلى معاذ المغرب فقرأ البقرة والنساء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أقنان أنت يا معاذ؟ ما كان يكتفيك أن تقرأ بالسماء والطارق، والشمس وضحاها ونحوها؟".

بسم الله الرحمن الرحيم.

وَالسَّمَاءُ وَالْطَّارِقُ {1} وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ {2} النَّجْمُ الثَّاقِبُ {3} إِن كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ {4} فَلَيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ {5} خُلُقُ مِنْ مَاءٍ دَافِقٌ {6} يَخْرُجُ مِنْ الصُّلْبِ وَالثَّرَائِبِ {7} إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ {8} يَوْمَ تُبْلَى السَّرَّائِرُ {9} فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٌ {10}

يقسم تبارك وتعالى بالسماء، وما جعل فيها من الكواكب النيرة، ولهذا قال تعالى: {والسماء والطارق}، ثم قال: {وما أدراك ما الطارق}، ثم فسره بقوله: {النجم الثاقب}. قال قتادة: وغيره: إنما سمي النجم طارقاً لأنه يرى بالليل ويختفى بالنهار، وبيؤده ما جاء في الحديث: "إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن". وقوله تعالى: {الثاقب} قال ابن عباس: المضيء، وقال السدي: يتقب الشياطين إذا أرسل عليهما، وقال عكرمة: هو مضيء ومحرق للشيطان، وقوله تعالى: {إن كل نفس لما عليها حافظ} أي كل نفس عليها من الله حافظ يحرسها من الآفات، كما قال تعالى: {له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله}، وقوله تعالى: [فَلَيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ] تنبية للإنسان على ضعف أصله الذي خلق منه، وإرشاد له إلى الاعتراف بالمعاد، لأن من قدر على البداعة، فهو قادر على الإعادة بطريق الأولى، كما قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَا الْخَلْقَ ثُمَّ يَعْيِدُهُ وَهُوَ أَهُونُ عَلَيْهِ}، وقوله تعالى: {خُلُقُ مِنْ مَاءٍ دَافِقٌ} يعني المنى يخرج دفناً من الرجل ومن المرأة، فيتولد منها الولد بإذن الله عزوجل، ولهذا قال: {يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالثَّرَائِبِ} يعني صلب الرجل وترائب المرأة وهو (صدرها)، وقال ابن عباس: صلب الرجل وترائب المرأة أصفر رقيق لا يكون الولد إلا منهما، عنه قال: هذه الترائب ووضع يده على صدره، وعن مجاهد: الترائب ما بين المنكبين إلى الصدر، وعن أبيه أيضاً: الترائب أسفل من التراقي، وقال الثوري: فوق الثديين، وقال قتادة: [يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالثَّرَائِبِ] من بين صلبه ونحره، وقوله تعالى: {إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ} فيه قوله تعالى: (أحدهما): على رجع هذا الماء الدافق إلى مقره الذي خرج منه لقادره على ذلك، قاله مجاهد وعكرمة وغيرهما. (الثاني): إنه على رجع هذا الإنسان المخلوق من ماء دافق، أي إعادةه وبعثه إلى الدار الآخرة لقادره، قال الضحاك واختاره ابن جرير، ولهذا قال تعالى: {يَوْمَ تُبْلَى السَّرَّائِرُ} أي يوم القيمة تبلى فيه السرائر أي تظهر وتتبادر، ويبيقى السر علانية والمكتون مشهوراً، وقوله تعالى: {فَمَالَهُ} أي الإنسان يوم القيمة {مِنْ قُوَّةٍ} أي في نفسه، {وَلَا نَاصِرٌ} أي من خارج منه، أي لا يقدر على أن ينقذ نفسه من عذاب الله، ولا يستطيع له أحد ذلك.

وَالسَّمَاءُ ذَاتُ الرَّجْعِ {11} وَالْأَرْضُ ذَاتُ الصَّدْعِ {12} إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ {13} وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ {14} إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا {15} وَأَكِيدُ كَيْدًا {16} فَمَهْلِكُ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُؤَيْدًا {17}

قال ابن عباس: الرجع المطر، عنه: هو السحاب فيه المطر، وقال قتادة: ترجع رزق العباد كل عام، ولو لا ذلك لهلكوا وهلكت مواشיהם، {وَالْأَرْضُ ذَاتُ الصَّدْعِ} قال ابن عباس: هو انصداعها عن النبات (وهو قول ابن جرير وعكرمة والضحاك والحسن وقتادة والحسين والسدي

وغيرهم)، وقوله تعالى: {إِنَّهُ لِقُولَ فَصْلٍ} قال ابن عباس: حق، وقال غيره: حكم عدل، {وَمَا هُوَ بِالْهَذْلِ} أي بل هو جد حق، ثم أخبر الكافرين بأنهم يكذبون به، ويصدون عن سبيله فقال: {إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كِيدًا} أي يمكرون بالناس، في دعوتهم إلى خلاف القرآن، ثم قال تعالى: {فَمَهْلِكُ الْكَافِرِينَ} أي أنظرهم ولا تستعجل لهم، {أَمْهَلْهُمْ رَوِيدًا} أي قليلاً وسترى ماذا أحل بهم، من العذاب والنkal ، والعقوبة والهلاك كما قال تعالى: {تَمْتَعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ}.

## 87 - سورة الأعلى.

[مقمة]

روى البخاري، عن البراء بن عازب قال: "أول من قدم علينا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمر وابن أم مكتوم، فجعلوا يقرئاننا القرآن، ثم جاء عمار وبلال وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين، ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم فما رأيت أهل المدينة فرحا بشيء فررحمهم به، حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء حتى قرأ: {سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} في سور مثلها. وروى مسلم وأهل السنن عن النعمان بن بشير أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في العيدين ويوم الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية، وربما اجتمعا في يوم واحد فقرأهما. وقد روى الإمام أحمد عن عائشة أم المؤمنين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الوتر بسبح اسم ربك الأعلى، وقل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد، زادت عائشة: والمعوذتين.

بسم الله الرحمن الرحيم.

سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى {1} الَّذِي خَلَقَ فَسَوَى {2} وَالَّذِي قَدَرَ فَهَدَى {3} وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْءَعِي {4} فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى {5} سَنَقْرُوكَ فَلَا تَنْسِى {6} إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِلَّا مَا يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفِي {7} وَنَيْسَرُوكَ لِلْيُسْرَى {8} فَذَكَرَ إِنْ تَفَعَّتِ الذِّكْرَى {9} سَيَذْكُرُ مَنْ يَخْشِي {10} وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْفَى {11} الَّذِي يَصْلِي النَّارَ الْكُبِيرَى {12} ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيِي {13}

عن ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ: {سبح اسم ربك الأعلى} قال: " سبحان رب الأعلى" (آخرجه أحمد وأبو داود). وقوله تعالى: {الذى خلق فسوى} أي خلق الخليقة وسوى كل مخلوق في أحسن المثلثات، وقوله تعالى: {والذى قدر فهدى}، قال مجاهد: هدى الإنسان للسعادة والسعادة، وهدى الانعام لمراحتها ، وهذه الآية كقوله تعالى: {وَقَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هُدِيَ} أي قدر قدرأ وهدى الخلاق إليه، كما ثبت في صحيح مسلم: "إن الله قادر مقادير الخالق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء" (آخرجه مسلم عن عبد الله بن عمرو مرفوعا).

وقوله تعالى: {وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْءَعِي} أي من جميع صنوف النباتات والزروع، [جعله غشاء أهوى] قال ابن عباس: هشيمأ متغيرا، وقوله تعالى: {سَنَقْرُوكَ} أي يا محمد [فلا تنسى] وهذا إخبار من الله تعالى ووعد منه له، بأنه سيقرئه قراءة لا ينساها {إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ} وهذا اختيار

ابن جرير، وقال ابن قتادة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينسى إلا ما شاء الله، قوله تعالى: {إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهَرَ وَمَا يَخْفِي} أي يعلم ما يجهر به العباد، وما يخفونه من أفعالهم وأفعالهم، لا يخفى عليه من ذلك شيء، قوله تعالى: {وَنَسِيرُكَ لِلْيَسَرِ} أي نسهل عليك أفعال الخير، ونشرع لك شرعاً سهلاً سمحاً، لا اعوجاج فيه ولا حرج ولا عسر، قوله تعالى: {فَذَرْ إِنْ نَفَعَتِ النَّذْكُرِ} أي ذكر حيث تفع الذكرة، ومن هنالا يؤخذ الأدب في نشر العلم فلا يضنه عند غير أهله، كما قال علي رضي الله عنه: ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنته لبعضهم. وقال: حدثنا الناس بما يعرفون، أتتجرون أن يكتب الله ورسوله؟ قوله تعالى: {سَيِّدُكُمْ مَنْ يَخْشَى} أي سيتعظ بما تبلغه يا محمد من قلبك يخشى الله ويعلم أنه ملاقبه، {وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى} الذي يصلى النار الكبرى \* ثم لا يموت فيها ولا يحيى أي لا يموت فيستريح، ولا يحيى حياة تتفعه بل هي مضره عليه، لأن سببها يشعر ما يعاقب به من أليم العذاب وأنواع النكال، عن أبي سعيد الخدري قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن أناس تصيبهم النار بذنبهم - أو قال بخطاياهم - فيميئتهم إماتة حتى إذا ما صاروا فحماً أذن في الشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر، فبيتوا على أنهار الجنة فيقال: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة في حميل السيل" (آخرجه أحمد ومسلم)، {وَنَادَوْا يَا مَالِكَ لِيَقْضِيْ عَلَيْنَا رِبَّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُثُّونَ}، وقال تعالى: {لَا يَقْضِيْ عَلَيْهِمْ فِيمَوْتُوْنَا وَلَا يَخْفَ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهِ} إلى غير ذلك من الآيات في هذا المعنى.

**فَدَأْلَحَ مَنْ تَرَكَى {14} وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى {15} بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا {16} وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى {17} إِنَّهُمْ لَفِي الصُّحْفِ الْأُولَى {18} صُحْفٌ لِإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى {19}**

يقول تعالى: {قد أفلح من ترركى} أي ظهر نفسه من الأخلاق الرذيلة، واتبع ما أنزل الله على الرسول صلوات الله وسلامه عليه، {وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى} أي أقام الصلاة في أوقاتها ابتغاء رضوان الله وامتثالاً لشرع الله ، وكذا قال ابن عباس أن المراد بذلك الصلوات الخمس، واختار ابن جرير، وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يأمر الناس باخراج صدقة الفطر، ويتلوا هذه الآية: {قد أفلح من ترركى \* وذكر اسم رب فصلى}، وقال قتادة في هذه الآية: {قد أفلح من ترركى \* وذكر اسم رب فصلى} زكي ماله وأرضي خالقه، ثم قال تعالى: {بل تؤثرن الحياة الدنيا} أي تقدمونها على أمر الآخرة، وتبدونها على ما فيه نفعكم وصلاحكم في معاشكم ومعادكم ، {وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى} أي ثواب الله في الدار الآخرة، خير من الدنيا وأبقى، فإن الدنيا دانية فانية، والآخرة شريفة باقية، فكيف يؤثر عاقل ما يفنى على ما يبقى، وبهتم بما يزول عنه قريباً ويترك الاهتمام بدار البقاء والخلد؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له" (آخرجه أحمد عن عائشة مرفوعاً) عن عجرفة الثقي قال: استقرأت ابن مسعود: {سبح اسم ربك الأعلى} فلما بلغ {بِلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} ترك القراءة وأقبل على أصحابه وقال: أثروا الدنيا على الآخرة، فسكت القوم، فقال: أثروا الدنيا لأن رأينا زينتها ونساءها وطعمها وشرابها، وزويت عنا الآخرة، فاخترنا هذا العاجل وتركنا الأجل، وهذا منه على وجه التواضع

والهضم، وفي الحديث: "من أحب دنياه أضر بآخرته ، ومن أحب آخرته أضر بدنياه فاثروا ما يبقى على ما يفني" (أخرجه أحمد عن أبي موسى الأشعري مرفوعاً).

وقوله تعالى: {إن هذا لفي الصحف الأولى \* صحف إبراهيم وموسى} كقوله في سورة النجم: {أم لم ينبا بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفي \* إلا تزر وازرة وزر أخرى \* وأن ليس للإنسان إلا ما سعى \* وأن سعيه سوف يرى \* ثم يجازاه الجزاء الأوفي \* وأن إلى ربك المتنهى} الآيات إلى آخرهن ؛ وهكذا قال عكرمة في قوله تعالى: {إن هذا لفي الصحف الأولى \* صحف إبراهيم وموسى} يقول: الآيات التي في {سبح اسم ربك الأعلى}، وقال أبو العالية: قصة هذه السورة في الصحف الأولى، واختار ابن جرير أن المراد بقوله: {إن هذا} إشارة إلى قوله: {قد أفلح من تركي \* وذكر اسم ربه فصلى \* بل تؤثرون الحياة الدنيا \* والأخرة خير وأبقى}، ثم قال تعالى: {إن هذا} أي مضمون الكلام [لـ]في الصحف الأولى \* صحف إبراهيم وموسى} وهذا الذي اختاره حسن قوي، وقد روی عن قتادة وابن زيد نحوه، والله أعلم.

## 88 - سورة الغاشية

[مقدمة]

عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بسبح اسم ربك الأعلى والغاشية في صلاة العيد ويوم الجمعة (أخرجه مسلم وأصحاب السنن).

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ {1} وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَائِشَةٌ {2} عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ {3} تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً {4} تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ {5} لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ {6} لَا يُسْمِنُ وَلَا يُعْنِي مِنْ جُوعٍ {7}

الغاشية من أسماء يوم القيمة، لأنها تغشى الناس وتعهم، روی عن عمرو بن ميمون أنه قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم على امرأة تقرأ: {هل أتاك حديث الغاشية} فقام يستمع، ويقول: "نعم قد جاءني". وقوله تعالى: {وجوه يومنئذ خائشة} أي ذليلة، وقال ابن عباس: تخشع ولا ينفعها عملها، وقوله تعالى: {عاملة ناصبة} أي قد عملت عملاً كثيراً ونسبت فيه، وصلت يوم القيمة ناراً حامية، عن أبي عمران الجوني قال: مر عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بدبر راهب، قال، فناداه: يا راهب، فأشرف، قال، فجعل عمر ينظر إليه وبيكي، فقيل له: يا أمير المؤمنين ما يبكيك من هذا؟ قال: ذكرت قول الله عز وجل في كتابه: {عاملة ناصبة \* تصلى ناراً حامية} فذاك الذي أبكياني، قال ابن عباس: {عاملة ناصبة} النصارى، وعن عكرمة والسدي: عاملة في الدنيا بالمعاصي، ناصبة في النار بالعذاب والإهلاك. قال ابن عباس: {تصلى ناراً حامية} أي حارة شديدة الحر، [تسقى من عين آنية] أي قد انتهى حرها وغليانها (وهو قول ابن عباس ومجادل والحسن والسدي)، وقوله تعالى:

{ليس لهم طعام إلا من ضریع} قال ابن عباس: شجر من النار، وقال سعيد بن جبیر: هو الزقوم، عنه أنها الحجارة، وقال البخاري، قال مجاهد: الضریع نبت يقال له الشبرق يسميه أهل الحجاز الضریع إذا بیس، وهو سم، وقال قتادة: {ليس لهم طعام إلا من ضریع} من شر الطعام وأبغشه وأخبوه، قوله تعالى: {لا يسمن ولا يغنى من جوع} يعني لا يحصل به مقصود ولا يندفع به مذور.

**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمةٌ {8} لَسْعَيْهَا رَاضِيَةٌ {9} فِي جَنَّةٍ عَالِيَّةٍ {10} لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً {11}**  
**فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَّةٌ {12} فِيهَا سُرُورٌ مَرْفُوعَةٌ {13} وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ {14} وَنَمَارِقٌ مَصْفُوفَةٌ**  
**{15} وَزَرَابِيٌّ مَبْثُوثَةٌ {16}**

لما ذكر حال الأشقياء ثنى بذكر السعداء فقال: {وجوه يومئذ} أي يوم القيمة، {ناعمة} أي يعرف النعيم فيها، وإنما حصل لها ذلك بسعيها، {سعيها راضية} قد رضيت عملها، وقوله تعالى: {في جنة عالية} أي رفيعة بهية في الغرفات آمنون، {لا تسمع فيها لاغية} أي لا تسمع في الجنة التي هم فيها كلمة لغو، كما قال تعالى: {لا يسمعون فيها لغو إلا سلاماً}، وقال تعالى: {لا لغو فيها ولا تأثير}، {فيها عين جارية} أي سارحة وليس المراد بها عين واحدة وإنما هذا جنس يعني فيها عيون جاريات، وعن أبي هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنهار الجنة تفجر من تحت تلال - أو من تحت جبال - المسك" (آخرجه ابن أبي حاتم)، {فيها سرر مرفوعة} أي عالية ناعمة، كثيرة الفرش مرتفعة السمك، عليها الحور العين، فإذا أرادولي الله أن يجلس على تلك السرر العالية تواضعت له، {وأكواب موضوعة} يعني أوانى الشرب معدة مرصدة لمن أرادها، {ونمارق مصفوفة} قال ابن عباس: النمارق الوسائل (وكذا قال عكرمة وقتادة والضحاك والسدي وغيرهم)، قوله تعالى: {وزرابي مبثوثة} قال ابن عباس: الزرابي البسط، ومعنى مبثوثة: أي هنا وهناك لمن أراد الجلوس عليها.

**أَفَلَا يَظْرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خَلَقْتَ {17} وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعْتَ {18} وَإِلَى الْجَبَلِ**  
**كَيْفَ نَصَبْتَ {19} وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطَحْتَ {20} فَذَكَرْ إِلَمَا أَنَّ مُذَكَّرْ {21} لَسْتَ**  
**عَلَيْهِمْ بِمُصْبِطِرْ {22} إِلَّا مَنْ تَوَلَّ وَكَفَرَ {23} فَيَعْذِبُهُ اللَّهُ الْعَذَابُ الْأَكْبَرُ {24} إِنَّ إِلَيْنَا**  
**إِيَابَهُمْ {25} ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ {26}**

يقول تعالى أمراً عباده بالنظر في مخلوقاته الدالة على قدرته وعظمته: {أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت؟} فإنها خلق عجيب وتركيبياً غريب، فإنها في غاية القوة والشدة، وهي مع ذلك تتقاد للقائد الضعيف، وتؤكل وينتفع بوبيرها ويشرب لبنيها، ونبهوا إلى ذلك لأن العرب غالب دوابهم كانت الإبل ، وكان شريح القاضي يقول: أخرجوا بنا حتى ننظر إلى الإبل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت! أي كيف رفعها الله عز وجل عن الأرض هذا الرفع

العظيم، كما قال تعالى: {أَفَلَمْ يُنظِرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فَرْوَجٍ}، {وَإِلَى الْجَبَلِ كَيْفَ نَصَبْتُ} أي جعل منصوبة فإنها ثابتة راسية لئلا تميد الأرض بأهلها وجعل فيها ما جعل من المنافع والمعادن، {وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سَطَحْتُ!} أي كيف بسطت ومدت ومهدت، فنبه البدوي على الاستدلال بما يشاهده من بغيره الذي هو راكم عليه، والسماء التي فوق رأسه، والجبل الذي تجاهه، والأرض التي تحته، على قدرة خالق ذلك وصانعه، وأنه رب العظيم الخالق المالك المتصرف، وأنه الإله الذي لا يستحق العبادة سواء، عن أنس قال: كنا نهينا أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل شيء، فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل الbadia العاقل فيسأله، ونحن نسمع، فجاء رجل من أهل الbadia فقال: يا محمد إنما أنا رجل رسولك، فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك، قال: "صدق" قال: فمن خلق السماء؟ قال: "الله" قال: فمن خلق الأرض؟ قال: "الله" قال: فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل؟ قال: "الله"، قال: فباليذي خلق السماء والأرض ونصب هذه الجبال آلة أرسلك؟ قال: "نعم". قال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا؟ قال: "صدق" ، قال: فباليذي أرسلك الله أمرك بهذا؟ قال: "نعم" ، قال: وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا؟ قال: "صدق" ، قال: فباليذي أرسلك الله أمرك بهذا؟ قال: "نعم" ، قال: وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع له سبيلاً؟ قال: "صدق" ، قال: ثم ولى، فقال: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن شيئاً ولا أنقص منهن شيئاً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن صدق ليدخلن الجنة" (أخرجه مسلم وأصحاب السنن والإمام أحمد، وجاء في بعض الروايات: "وأنما ضمام بن ثعلبة أخوبني سعد بن بكر").

وقوله تعالى: {فَذَكِرْ إِنَّمَا أَنْتَ مَذَكُورٌ \* لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسِيْطِرٍ} أي ذكر يا محمد الناس بما أرسلت به إليهم {فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ}، ولهذا قال: {لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسِيْطِرٍ}؛ قال ابن عباس ومجاهد: لست عليهم بجبار، أي لست تخلق الإيمان في قلوبهم، وقال ابن زيد: لست باليذي تكرهم على الإيمان، عن جابر قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل" ثم قرأ: {فَذَكِرْ إِنَّمَا أَنْتَ مَذَكُورٌ \* لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسِيْطِرٍ} (أخرجه أحمد ورواه مسلم والنسائي والترمذى). وقوله تعالى: {إِلَّا مَنْ تَوَلَّ وَكَفَرَ} أي تولى عن العمل بأركانه، وكفر بالحق بجناه ولسانه، وهذه كقوله تعالى: {فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى \* وَلَكِنَّ كَذَّبَ وَتَوَلَّى}، ولهذا قال: {فَسَيَعْذِنُهُ اللَّهُ الْعَذَابُ الْأَكْبَرُ}، وروى: أن أبي أمامة الباهلي مر على خالد بن يزيد بن معاوية، فسأله عن ألين كلمة سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ألا لكم يدخل الجنة إلا من شرد على الله شرداً البعير عن أهله" (تفرد بإخراجه الإمام أحمد). وقوله تعالى: {إِنَّ إِلَيْنَا إِيَّاَهُمْ} أي مرجعهم ومنقلبهم ، {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ} أي نحن نحاسبهم على أعمالهم ونجازيهم بها، إن خيراً فخير، وإن شرًا فشر.

## 89 - سورة الفجر.

وَالْفَجْرِ {1} وَكَيْلَ عَشْرِ {2} وَالشَّفْعِ وَالوَتْرِ {3} وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرَ {4} هَلْ فِي ذَلِكَ قَسْمٌ  
لَّذِي حَجْرٍ {5} أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بَعْدَ {6} إِرَامَ ذَاتِ الْعِمَادِ {7} الَّتِي لَمْ يُخْلِقْ مِثْلُهَا  
فِي الْبَلَادِ {8} وَثَمُودُ النَّبِيِّنَ جَابُوا الصَّحْرَ بِالْوَادِ {9} وَفَرْعَوْنَ ذِي الْأَوْنَادِ {10} الَّذِينَ طَغَوْا  
فِي الْبَلَادِ {11} فَاكْثُرُوا فِيهَا الْفَسَادَ {12} فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سُوتَ عَذَابٍ {13} إِنَّ رَبَّكَ  
لِيَالِمِرْصَادِ {14}

أما الفجر فمعروف وهو الصبح، وعن مسروق: المراد به فجر يوم النحر خاصة، وهو خاتمة الليالي العشر، وقيل: المراد بذلك الصلاة التي تفعل عنده، والليالي العشر المراد بها عشر ذي الحجة (وهو قول ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وغير واحد من السلف)، وقد ثبت في صحيح البخاري: "ما من أيام العمل الصالحة أحب إلى الله فيهن من هذه الأيام" يعني عشر ذي الحجة، قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: "ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجلاً خرج بنفسه وماله، ثم لم يرجع من ذلك بشيء" (آخرجه البخاري عن ابن عباس مرفوعاً). وقيل: المراد بذلك العشر الأول من المحرم، عن ابن عباس: {وليل عشر} قال: هو العشر الأول من رمضان، وال الصحيح القول الأول. روی عن جابر يرفعه: "إن العشر عشر الأضحى، والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر" (آخرجه أحمد والنسياني وابن أبي حاتم، قال ابن كثیر: إسناد رجاله لا بأس بهم والمعنى في رفعه نکارة). قوله تعالى: {والشفع والوتر} الوتر يوم عرفة لكونه التاسع، والشفع يوم النحر لكونه العاشر، قاله ابن عباس: قول ثان: عن واصل بن السائب قال: سألت عطاء عن قوله تعالى: {والشفع والوتر} قلت: صلاتنا وترنا هذا؟ قال: لا، ولكن الشفع يوم عرفة والوتر ليلة الأضحى. قول ثالث: عن أبي سعيد بن عوف قال: سمعت عبد الله بن الزبير يخطب الناس فقام إليه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن الشفع والوتر؟ قال: الشفع قول الله تعالى: {فَمَنْ تَعْجَلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ}، والوتر قوله تعالى: {وَمَنْ تَأْخِرَ فِي لَيْلَةِ الْأَضْحَى} (آخرجه ابن أبي حاتم). وفي الصحيحين: "إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر" (آخرجه الشیخان عن أبي هريرة مرفوعاً). قول رابع: قال الحسن البصري: الخلق كلهم شفع ووتر، أقسم تعالى بخلقه (وهو روایة عن مجاهد). وقال ابن عباس: {والشفع والوتر} قال: الله وتر واحد، وأنتم شفع، ويقال: الشفع صلاة الغداة، والوتر صلاة المغرب. قول خامس: عن مجاهد {والشفع والوتر} قال: الشفع الزوج، والوتر الله عزوجل (آخرجه ابن أبي حاتم)، وعنده: الله الوتر وخلقه الشفع الذكر والأنثى، عنه: كل شيء خلقه الله شفع: السماء والأرض، والبر والبحر، والجن والإنس، والشمس والقمر، ونحو هذه، قوله تعالى: {وَمَنْ كَلَّ شَيْءاً خَلَقْنَا زَوْجَيْنَ لِعَلَمَنَا تَذَكَّرُونَ} أي لتعلموا أن خالق الأزواج واحد. قول سادس: قال الحسن: {والشفع والوتر} هو العدد منه شفع، ومنه وتر. قول سابع: قال أبو العالية والربيع بن أنس؛ هي الصلاة منها شفع كالرباعية والثانية، ومنها وتر كالمغرب، فإنها ثلاثة، وهي وتر النهار، وكذلك صلاة الوتر في آخر التهجد من الليل، ولم يجزم ابن جرير بشيء من الأقوال في الشفع والوتر.

وقوله تعالى: {والليل إذا يسر} قال ابن عباس: أي إذا ذهب، وقال مجاهد وأبو العالية {والليل إذا يسر}: إذا سار أي ذهب، ويحتمل إذا سار: أي أقبل، وهذا أنساب لأنه في مقابلة قوله: {والفجر} فان الفجر هو إقبال النهار، وإدبار الليل، فإذا حمل قوله: {والليل إذا يسر} على إقباله كان قسماً بإقبال الليل وإدبار النهار وبالعكس، قوله: {والليل إذا عسع} \* والصبح إذا تنفس} وقال الضحاك: {والليل إذا يسر} أي يجري، وقال عكرمة: {والليل إذا يسر} يعني ليلة جمع المزدلفة، قوله تعالى: {هل في ذلك قسم لذي حجر} أي لذى عقل ولب وحجى، وإنما سمي العقل (حجراً) لأنه يمنع الإنسان من تعاطي ما لا يليق به من الأفعال والأقوال، وجَرَ الحاكم على فلان إذا منعه التصرف، وهذا القسم هو بأوقات العبادة، وبينفس العبادة من حج وصلوة وغير ذلك من أنواع القرب، التي يتقرب إليه عباده المتقوون المطيعون له، الخائفون منه، المتواضعون لديه، الخاشعون لوجه الكريم، ولما ذكر هؤلاء وعبادتهم وطاعتكم قال بعده: {ألم تر كيف فعل ربك بعد؟ وهؤلاء كانوا متمردين عتاة جبارين، خارجين عن طاعته مكثيين لرسله، فذكر تعالى كيف أهلكهم ودمرواهم وجعلهم أحاديث وعبرآ فقال: {ألم تر كيف فعل ربك بعد \*} إرم ذات العمامد؟ وهؤلاء (عاد الأولى) وهم الذين بعث الله فيهم رسوله هوداً عليه السلام فكذبوه وخالقوه، فأنجاه الله من بين أظهرهم ومن آمن معه منهم وأهلكهم {بريح صرصر عاتية}، وقد ذكر الله قصتهم في القرآن، ليعتبر بمصرعهم المؤمنون، قوله تعالى: {إرم ذات العمامد} عطف بيان زيادة تعريف بهم، قوله تعالى: {ذات العمامد} لأنهم كانوا يسكنون ببيوت الشعر التي ترفع بالأعمدة الشداد، وقد كانوا أشد الناس في زمانهم خلقة وأقواهم بطشاً، ولهذا ذكرهم (هود) بتلك النعمة، وأرشدهم إلى أن يستعملوها في طاعة ربهم الذي خلقهم فقال: {واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين}.

وقال تعالى: {فاما عاد فاستكروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة؟ ألم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة}، وقال هنا: {التي لم يخلق مثلها في البلاد} أي القبيلة التي لم يخلق مثلها في بلادهم لقوتهم وشدة تم وعظم تركيبهم ، وقال مجاهد: إرم أمة قيمة يعني عادا الأولى، قال قتادة والسدي: إن إرم بيت مملكة عاد، وكانوا أهل عمد لا يقيمون، وقال ابن عباس: إنما قيل لهم ذات العمامد لطولهم، واحتقار الأول ابن جرير، قوله تعالى: {التي لم يخلق مثلها في البلاد} الضمير يعود على القبيلة، أي لم يخلق مثل تلك القبيلة في البلاد يعني في زمانهم، روي عن المقدم أنه ذكر {إرم ذات العمامد} فقال: "كان الرجل منهم يأتي على الصخرة فيحملها على الحي فييهلكهم" (آخرجه ابن أبي حاتم عن المقدم مرفوعاً)، وسواء كانت العمامد أبانية بنوها، أو أعمدة بيوتهم للبدو، أو سلاحهم يقاتلون به، أو طول الواحد منهم، فهم قبيلة وأمة من الأمم، وهم المذكورون في القرآن في غير ما موضع، المقربون بهم بثمد كما هنها، والله أعلم. ومن زعم أن المراد بقوله: {إرم ذات العمامد} مدينة إما دمشق، أو اسكندرية أو غيرهما، فضعف لأنه لا يتسق الكلام حينئذ، ثم المراد إنما هو الإخبار عن إهلاك القبيلة المسماة بعده، وما أحل الله بهم من بأسه الذي لا يرد، لا أن المراد الإخبار عن مدينة أو إقليم، وقول ابن جرير: يحتمل أن يكون المراد بقوله: {إرم ذات العمامد} قبيلة أو بلدة كانت عاد تسكنها فلذلك لم تصرف، فيه نظر، لأن المراد من السياق إنما هو الإخبار عن القبيلة، ولهذا قال بعده: {وثمود الذين جابوا الصخر بالوادي} يعني يقطعون الصخر بالوادي،

قال ابن عباس: ينحثونها ويخرقونها، يقال: اجتاب الثوب، إذا فتحه وقال تعالى: {وَتَحْتُونَ مِنَ الْجَبَلِ بَيْتَنَاهُ فَارْهِينَ}، وقال ابن اسحاق: كانوا عرباً وكان منزلهم بوادي الفرى، وقد ذكرنا قصة عاد مستقصاة في سورة الأعراف بما ألغى عن إعادته.

وقوله تعالى: {وَفَرَعُونَ ذِي الْأَوْتَادِ} قال ابن عباس: الأوتاد الجنود الذين يشدون له أمره، ويقال: كان فرعون يوتد أيديهم وأرجلهم في أوتاد من حديد يعلقهم بها، وكذا قال مجاهد: كان يوتد الناس بالأوتاد، وقال السدي: كان يربط الرجل كل قائمه من قوائمه في وتد ثم يرسل عليه صخرة عظيمة فيشده ، وقال ثابت البصري: قيل لفرعون ذي الأوتاد، لأنه ضرب لامرأته أربعة أوتاد، ثم جعل على ظهرها رحى عظيمة حتى ماتت، وقوله تعالى: {الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَادِ \* فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادِ} أي تمردوا وعثروا وعاثوا في الأرض بالإفساد والأذية للناس، {فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ} أي أنزل عليهم رجراً من السماء، وأحل بهم عقوبة لا يردها عن القوم المجرمين، وقوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمَرْصَادِ} قال ابن عباس: يسمع ويرى يعني يرصد خلقه فيما يعملون، ويجاري كلاً بسعيه في الدنيا والآخرى، وسيعرض الخلاق كلهم عليه فيحكم فيهم بعده ويفقابل كلاً بما يستحقه وهو المنزه عن الظلم والجور.

فَأَمَّا إِلَيْنَا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَعَمَّهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ {15} وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ {16} كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتَيمَ {17} وَلَا تَحْاضُنَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ {18} وَتَأْكُلُونَ التِّرَاثَ أَكْلًا لَمَّا {19} وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًا {20}

يقول تعالى منكراً على الإنسان، إذا وسع الله تعالى عليه في الرزق ليختبره، فيعتقد أن ذلك من الله إكرام له، وليس كذلك بل هو ابتلاء وامتحان، كما قال تعالى: {أَيُحِسِّنُونَ أَنَّمَا نَمْدِهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ} نساع لهم في الخيرات بل لا يشعرون [ وكذلك في الجانب الآخر إذا ابتلاه وامتحنه وضيق عليه في الرزق، يعتقد أن ذلك من الله إهانة له، قال الله تعالى: {كَلَّا} أي ليس الأمر كما زعم لا في هذا ولا في هذا، فإن الله تعالى يعطي المال من يحب ومن لا يحب، ويضيق على من يحب ومن لا يحب، وإنما المدار في ذلك على طاعة الله في كل من الحالين، إذا كان غنياً بأن يشكر الله على ذلك، وإذا كان فقيراً بأن يصبر، وقوله تعالى: {بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتَيمَ} فيه أمر بالاكرام له كما جاء في الحديث قال صلى الله عليه وسلم: "أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة" وقرن بين أصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام (آخرجه أبو داود)، {وَلَا تَحْاضُنَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ} يعني لا يأمرون بالإحسان إلى الفقراء والمساكين ويحدث بعضهم على بعض في ذلك {وَتَأْكُلُونَ التِّرَاثَ} يعني الميراث {أَكْلًا لَمَّا} أي من أي جهة حصل لهم من حلال أو حرام {وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًا} أي كثيراً فاحشاً.

كَلَّا إِذَا دُكِّتِ الْأَرْضُ دَكَّا {21} وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفَّا صَفَّا {22} وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ إِلَيْنَا وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَ {23} يَقُولُ يَا لَيْسِي قَدَمْتُ لِحَيَاتِي {24}

**فَيَوْمَنِذَلِّ لَا يُعَذَّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ {25} وَلَا يُوْثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ {26} يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَةُ {27}**  
**أَرْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَّةً مَرْضِيَّةً {28} فَادْخُلِي فِي عِبَادِي {29} وَادْخُلِي جَنَّتِي {30}**

يخبر تعالى بما يقع يوم القيمة من الأهوال العظيمة فقال تعالى: {كلا} أي حقاً {إذا دكت الأرض دكاً دكاً} أي وطئت ومهدت سويف الأرض والجبال، وقام الخائق من قبورهم لربهم {وجاء ربك} يعني لفصل القضاء بيت خلقه، وذلك بعد ما يستشفون إليه بسيده ولد آدم على الإطلاق، محمد صلوات الله وسلامه عليه، فيجيء الرَّبُّ تبارك وتعالى لفصل القضاء، والملائكة يجيئون بين يديه صفوفاً، وقوله تعالى: {وجيء يومئذ بجهنم} روى الإمام مسلم في صحيحه: عن عبد الله بن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها"، وقوله تعالى: {يومئذ يتذكر الإنسان} أي عمله وما كان أسفله في قديم ذره وحديثه، {وألي له الذكرى} أي وكيف تتفعه الذكرى، {يقول يا ليتني قدمت لحياتي} يعني يندم على ما كان سلف منه من المعاصي إن كان عاصياً، ويود لو كان ازداد من الطاعات إن كان طائعاً، كما قال الإمام أحمد بن حنبل عن جبير بن نفير عن محمد بن عمارة، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لو أن عبداً خر على وجهه من يوم ولد إلى أن يموت في طاعة الله لحرقه يوم القيمة، ولو أنه رد إلى الدنيا كيما يزداد من الأجر والثواب.

وقال الله تعالى: {فيومئذ لا يعذب عذابه أحد} أي ليس أحد أشد عذاباً من تعذيب الله من عصاه، {ولا يوثق وثاقه أحد} أي وليس أشد قيضاً ووثقاً من الزبانية لمن كفر بربهم عزَّ وجلَّ، وهذا في حق المجرمين من الخائق والظالمين، فاما النفس الزكية المطمئنة وهي الساكنة الثابتة الدائرة مع الحق، فيقال لها: {يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ} أي إلى جواره وثوابه وما أعد لعباده في جنته {رَاضِيَّةً} أي في نفسها، {مَرْضِيَّةً} أي قد رضيت عن الله، ورضي عنها وأرضها، {فَادْخُلِي فِي عِبَادِي} أي في جملتهم، {وَادْخُلِي جَنَّتِي} وهذا يقال لها عند الاحتضار، وفي يوم القيمة أيضاً، كما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره فكذلك هنا، ثم اختلف المفسرون فيما نزلت هذه الآية، فروي أنها نزلت في عثمان بن عفان، وقيل: إنها نزلت في حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، وقال ابن عباس في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَّةً} قال: نزلت وأبو بكر جالس فقال: يا رسول الله ما أحسن هذا؟ فقال: "أما إنه سيقال لك هذا" (أخرجه ابن أبي حاتم). وروى الحافظ ابن عساكر، عن أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل: "قل: اللهم إني أسألك نفساً مطمئنة، تومن بلقائك، وترضى بقضائك، وتقنع بعذنك" (أخرجه الحافظ ابن عساكر).

## 90 - سورة البلد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ {1} وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ {2} وَوَالَّدُ وَمَا وَلَدَ {3} لَقَدْ خَلَقْنَا إِلَيْنَا إِنْسَانًا فِي كَبَدٍ {4} أَيْحَسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ {5} يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لِبَدًا {6} أَيْحَسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ {7} أَلَمْ تَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ {8} وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ {9} وَهَدَيْنَاهُ التَّجْدِينِ {10}

هذا قسم من الله تبارك وتعالى بمكة (أم القرى) في حال كون الساكن فيها حلالاً، ليتبه على عظمة قدرها في حال إحرام أهلها، قال مجاهد: {لا أقسم بهذا البلد} لا، رد عليهم. أقسم بهذا البلد، وقال ابن عباس: {لا أقسم بهذا البلد} يعني مكة {وأنت حلّ بهذا البلد} قال: أنت يا محمد يحل لك أن تقاتل به، وقال مجاهد: ما أصبت فيه فهو حلال لك، وقال الحسن البصري: أهلها الله له ساعة من نهار، وهذا المعنى قد ورد به الحديث المتفق على صحته: "إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيمة، لا يغضد شجره ولا يختلى خلاه، وإنما أحلت لي ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، ألا فليبلغ الشاهد الغائب" (آخرجه الشیخان وأصحاب السنن). وفي لفظ آخر: "فإن أحد ترخص بقتل رسول الله فقولوا إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم"، قوله تعالى: {وَوَالَّدُ وَمَا وَلَدَ} قال ابن عباس: الوالد الذي يلد {وَمَا وَلَدَ} العاشر الذي لا يولد له، وقال مجاهد وفتادة والضحاك: يعني بالوالد آدم {وَمَا وَلَدَ} ولده، وهذا الذي ذهب إليه مجاهد وأصحابه حسن قوي، لأنه تعالى لما أقسم بأهم القرى وهي المساكن، أقسم بعده بالساكن، وهو (آدم) أبو البشر وولده، واختار ابن جرير أنه عام في كل ولد وولده وهو محتمل أيضاً، قوله تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا إِلَيْنَا إِنْسَانًا فِي كَبَدٍ} روي عن ابن مسعود وابن عباس: يعني منتصباً، زاد ابن عباس: منتصباً في بطنه أممه، والكبـد الاستواء والاستقامة، ومعنى هذا القول: لقد خلقناه سوياً مستقيماً، كقوله تعالى: {الَّذِي خَلَقَ فَسُوكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةِ مَا شَاءَ رَكِبَكَ}، وكقوله تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا إِنْسَانًا فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} وقال ابن عباس {فِي كَبَدٍ} في شدة خلق، ألم تر إليه وذكر مولده ونبات أسنانه، وقال مجاهد: {فِي كَبَدٍ} نطفة، ثم علقة ، ثم مضغة، يكبد في الخلق، وهو كقوله تعالى: {حَمْلَتِهِ أَمَّهُ كَرَهَا وَوَضَعَتِهِ كَرَهَا} فهو يكبد ذلك، وقال سعيد بن جبير: {فِي كَبَدٍ} في شدة وطلب معيشة، وقال قتادة: في مشقة، وقال الحسن: يكبد أمر الدنيا وأمر من الآخرة، وفي رواية: يكبد مضائق الدنيا وشدائد الآخرة، واختار ابن جرير أن المراد بذلك مكافحة الأمور ومشاقها.

وقال تعالى: {أَيْحَسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ} قال الحسن البصري: يعني يأخذ ماله، وقال قتادة: يظن أن لن يسأل عن هذا المال من أين اكتسبه وأين أنفقه، وقال السدي: {أَيْحَسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ} قال: الله عزّ وجلّ يظن أن لن يقدر عليه ربه، قوله تعالى: {يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لِبَدًا} أي يقول ابن آدم: أنفقت {مَالًا لِبَدًا} أي كثيراً قاله مجاهد والحسن، {أَيْحَسَبُ أَنْ لَمْ يَرِهِ أَحَدٌ} قال مجاهد: أي أيسـبـ أن لم يره الله عزّ وجلّ، وكذلك قال غيره من السلف، قوله تعالى: {أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ} أي يبصر بهما [لوساناً] أي ينطق به فيعبر عمـا في ضميره {وَشَفَتَيْنِ} يستعين بهما على الكلام، وأكل الطعام، وجمالـاً لوجهـه وفـمه. {وَهَدَيْنَاهُ التَّجْدِينِ}.

الطريقين، قال ابن مسعود: الخير والشر، وقال ابن عباس {وَهُدِيَنَا النَّجْدَيْنَ} قال: الثديين، قال ابن جرير: والصواب القول الأول، نظير هذه الآية قوله: {إِنَّا هُدِيَنَا السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا أَوْ كَفُورًا}.

فَلَا افْتَحْمَ الْعَقَبَةَ {11} وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ {12} فَلَكُ رَقْبَةٌ {13} أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْعَبَةٍ {14} يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ {15} أَوْ مُسْكِنًا ذَا مَتْرِبَةٍ {16} ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَوَافِرُوا بِالصَّبَرِ وَكَوَافِرُوا بِالْمَرْحَمَةِ {17} أَوْ لَكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ {18} وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشَأْمَةِ {19} عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ {20}

روى ابن جرير عن ابن عمر في قوله تعالى: {فَلَا افْتَحْمَ} أي دخل {العقبة} قال: جبل في جهنم، وقال كعب الأحبار: هو سبعون درجة في جهنم، وقال الحسن البصري: عقبة في جهنم، وقال قتادة: إنها عقبة قحمة شديدة فاقت حمومها بطاعة الله تعالى، {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ؟} ثم أخبر تعالى عن افتتاحها فقال: {فَلَكُ رَقْبَةٌ \* أَوْ إِطْعَامٌ}، وقال ابن زيد: {فَلَا افْتَحْمَ الْعَقَبَةَ} أي أفلأ سلك الطريق التي فيها النجاة والخير، ثم بينها فقال تعالى: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ \* فَلَكُ رَقْبَةٌ}، عن سعيد بن مرjanah عن أبي هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من اعتق رقبة مؤمنة اعتق الله بكل إرب - أي عضو - منها إرباً منه من النار حتى إنه ليتعنق باليد اليد، وبالرجل الرجل، وبالفرج الفرج"، فقال علي بن الحسين: أنت سمعت هذا من أبي هريرة؟ فقال سعيد: نعم، فقال علي بن الحسين لغلام له أفره غلامه: ادع مطرفاً ، فلما قام بين يديه، قال: اذهب فأنت حر لوجه الله" (أخرجه البخاري ومسلم والترمذى والنمسائى والإمام أحمد). وعند مسلم أن هذا الغلام الذي اعتقه على بن الحسين زين العابدين كان قد أعطى فيه عشرة آلاف درهم، وعن عمرو بن عبسة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من بنى مسجداً ليذكر الله فيه بنى الله له بيته في الجنة، ومن اعتق نفساً مسلمة كانت فيديته من جهنم، ومن شاب شيبة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيمة" (أخرجه أحمد). وفي الحديث: "من ولد له ثلاثة أولاد في الإسلام فماتوا قبل أن يبلغوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم، ومن شاب شيبة في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيمة، ومن رمى بسهم في سبيل الله بلغ به العدو أصاب أو أخطأ كان له عتق رقبة، ومن اعتق رقبة مؤمنة اعتق الله بكل عضو منه عضواً منه من النار، ومن اعتق زوجين في سبيل الله فإن للجنة ثمانية أبواب يدخله الله من أي باب شاء منها" (أخرجه أحمد أيضاً). وهذه أسانيد جيدة قوية والله الحمد.

وقوله تعالى: {أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْعَبَةٍ} قال ابن عباس: ذي مجاعة (وكذا قال عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة وغيرهم)، والسبغ: هو الجوع، وقال النخعي: في يوم الطعام فيه عزيز، وقال قتادة: في يوم مشتهى فيه الطعام، وقوله تعالى: {يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ} أي أطعم في مثل هذا اليوم يتيمًا {ذَا مَقْرَبَةً} أي ذا قرابة منه، كما جاء في الحديث الصحيح: "الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنان، صدقة وصلة" (أخرجه أحمد ورواه الترمذى والنمسائى وإسناده صحيح). وقوله تعالى: {أَوْ مُسْكِنًا ذَا مَتْرِبَةً} أي فقيراً مدقعاً لاصقاً بالتراب، وهو الدقعاء أيضاً، قال ابن عباس: ذا متربة هو المطروح في الطريق، الذي لا بيت له ولا شيء

يقيه من التراب. وفي رواية: هو الذي لصق بالدقعاء من الفقر وال الحاجة ليس له شيء، وقال عكرمة: هو الفقير المدين المحتاج، وقال سعيد بن جبير: هو الذي لا أحد له، وقال قتادة: هو ذو العيال، وكل هذه قريبة المعنى، وقوله تعالى: {ثم كانوا من الذين آمنوا} أي ثم هو مع هذه الأوصاف الجميلة الطاهرة مؤمن بقبليه، محتبس ثواب ذلك عند الله عز وجل، كما قال تعالى: {ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً}

وقوله تعالى: {وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة} أي كان من المؤمنين العاملين صالحاً، "المتواصين بالصبر على أذى الناس، وعلى الرحمة بهم"، كما جاء في الحديث: "الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء". وعن عبد الله بن عمرو يرويه قال: "من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبارنا فليس منا" (آخرجه أبو داود)، وقوله تعالى: {أولئك أصحاب الميمنة} أي المتتصفون بهذه الصفات من أصحاب اليمين، ثم قال: {والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب الشمام، {عليهم نار مؤصدة}} أي مطبة عليهم فلا محيط لهم عنها، ولا خروج لهم منها، قال أبو هريرة {مؤصدة} أي مطبة، وقال ابن عباس: مغلقة الأبواب، وقال مجاهد: أسد الباب أي أغفله، وقال الضحاك: {مؤصدة} حيط لا باب له، وقال قتادة {مؤصدة}: مطبة فلا ضوء فيها ولا فرج ولا خروج منها آخر الأبد، وقال أبو عمران الجوني: إذا كان يوم القيمة أمر الله بكل جبار وكل شيطان، وكل من كان يخاف الناس في الدنيا شره، فألوثوا بالحديد، ثم أمر بهم إلى جهنم ثم أوصدوها عليهم أي أطبقوها ، قال: فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرار أبداً، ولا والله لا ينظرون فيها إلى أديم سماء أبداً، ولا والله لا تلتقي جفون أعينهم على غمض نوم أبداً، ولا والله لا يذوقون فيها بارد شراب أبداً (آخرجه ابن أبي حاتم).

## 91 - سورة الشمس

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا {1} وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا {2} وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا {3} وَاللَّيلِ إِذَا يَعْشَاهَا {4} {وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا {5} وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا {6} وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا {7} فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا {8} قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَاهَا {9} وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَاهَا {10}

قال مجاهد {والشمس وضحاها}: أي وضوئها، وقال قتادة: {وضحاها} النهار كلها، قال ابن جرير: والصواب أن يقال: أقسم الله بالشمس ونهارها، لأن ضوء الشمس الظاهر هو النهار، {والقمر إذا تلاها} قال مجاهد: تبعها، وقال ابن عباس: {والقمر إذا تلاها} قال: يتلو النهار، وقال قتادة: إذا تلاها ليلة الهلال إذا سقطت الشمس رؤى الهلال. وقال ابن زيد: هو يتلوها في النصف الأول من الشهر، ثم هي تلوكه وهو يقدمها في النصف الأخير من الشهر، وقوله تعالى: {والنهار إذا جلاها} قال مجاهد: أضاءها، وقال قتادة: إذا غشتها النهار، وتأنق بعضهم ذلك بمعنى: والنهار إذا جلا الظلمة لدلالة الكلام عليها (ذكره ابن جرير عن بعض أهل اللغة). (فقلت): ولو أن القائل تأنق ذلك بمعنى {والنهار إذا جلاها} أي البسيطة لكان أولى، ولصح تأويله في قوله تعالى: {والليل إذا يعشها} فكان أجود وأقوى، والله أعلم. ولهذا قال مجاهد: {والنهار إذا جلاها} إنه كقوله تعالى: {والنهار إذا تجلى}، وأما ابن جرير فاختار عود

الضمير ذلك كله على الشمس لجريان ذكرها، وقالوا في قوله تعالى: {والليل إذا يغشاها} يعني إذا يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق. قال بقية: إذا جاء الليل قال الرب جل جلاله: غشي عبادي خلقى العظيم، فالليل تهابه، والذي خلقه أحق أن يهاب (رواه ابن أبي حاتم). قوله تعالى: {والسماء وما بناؤها} يحتمل أن تكون (ما) هنا مصدرية بمعنى: والسماء وبناها، وهو قول قنادة، ويحتمل أن تكون بمعنى (من) يعني: والسماء وبانيها، وهو قول مجاهد، وكلاهما متلازم والبناء هو الرفع كقوله تعالى: {والسماء بنيناها بأيد - أي بقوة - وإنما لموسعون} .

وقوله تعالى: {والأرض وما طحها} قال مجاهد: {طحها} دحها، وقال ابن عباس: أي خلق فيها، وقال مجاهد وقنادة والضحاك: {طحها} بسطها، وهذا أشهر الأقوال، وعليه الأكثر من المفسرين وهو المعروف عند أهل اللغة، قال الجوهرى: طحوته مثل دحوته أي بسطته، وقوله تعالى: {ونفس وما سواها} أي خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة كما قال تعالى: [فَأَقْمِ وَجْهَكَ لِدِينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخُلُقِ اللَّهِ]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كل مولود يولد على الفطرة". وفي صحيح مسلم: "يقول الله عزوجل: إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم". وقوله تعالى: {فَأَلْهَمَهَا فَجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} أي فأرشدتها إلى فجورها وتقوتها أي بين ذلك لها وهداها إلى ما قدر لها، قال ابن عباس: بين لها الخير والشر، وقال سعيد بن جبير: أحملها الخير والشر، وقال ابن زيد: جعل فيها فجورها وتقوتها. وفي الحديث: أن رجلاً من مزينة أو جهينة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس فيه ويتقادرون، أشيء قضي عليهم من قدر قد سبق، أم شيء مما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وأكدت به عليهم الحجة؟ قال: "بل شيء قد قضي عليهم"، قال: ففيم نعمل؟ قال: "من كان الله خلقه لإحدى المنزلتين يهبيه لها، وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى: {ونفس وما سواها} \* فَأَلْهَمَهَا فَجُورَهَا وَتَقْوَاهَا" (رواه أحمد ومسلم).

وقوله تعالى: {قد أفلح من زكاها} وقد خاب من دسها \* وقد أفلح من زكي نفسه بطاعة الله، وظهرها من الأخلاق الدينية والرذائل، كقوله: {قد أفلح من تزكي} \* وذكر اسم ربه فصلی {وقد خاب من دسها} أي دسها أي أخملها حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله عزوجل، وقد يحتمل أن يكون المعنى: قد أفلح من زكي نفسه، وقد خاب من دسى الله نفسه، كما قال ابن عباس (هذا القول عن ابن عباس ورد به حديث مرفوع: "أفلحت نفس زاكها الله عزوجل" (أخرجه ابن أبي حاتم ولكن في إسناده ضعف)). وروى ابن أبي حاتم، عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ: {فَأَلْهَمَهَا فَجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} قال: "اللهم آت نفسي تقوتها، وزكها أنت خير من زකها، أنت وليها ومولاها" ، وفي رواية عن عائشة أنها فقدت النبي صلى الله عليه وسلم من مضجعه، فلمسته بيدها فرقعت عليه وهو ساجد، وهو يقول: "رب أطع نفسي تقوتها، وزكها أنت خير من زكها، أنت وليها ومولاها" (أخرجه أحمد). حديث آخر: روى الإمام أحمد، عن زيد بن أرقم قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والهرم والجبن والبخل وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقوتها، وزكها أنت خير من زكها، أنت ولها ومولاها، اللهم إني أعوذ

بك من قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، وعلم لا ينفع، ودعوة لا يستجاب لها" (وأخرجه مسلم). قال زيد: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا هن ونحن نعلمكم هن.

كَذَّبْتُ ثَمُودًّا بِطَغْوَاهَا {11} إِذْ أَنْبَعْتَ أَشْقَاهَا {12} فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا {13} فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَاهَا {14} وَلَا يَخَافُ عَقْبَاهَا {15}

يخبر تعالى عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم، بسبب ما كانوا عليه من الطغيان والبغى، فأعقبهم ذلك تكذيباً في قلوبهم بما جاءهم به رسولهم عليه الصلاة والسلام من الهدى واليقين {إذ أنبث أشقاها} أي أشقي القبيلة وهو (قدار بن سالف) عاشر الناقة، وهو الذي قال الله تعالى: [فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرُ {الآية}، وكان هذا الرجل عزيزاً شريفاً في قومه، نسبياً رئيساً مطاعاً، كما قال الإمام أحمد: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الناقة، وذكر الذي عقرها، فقال: "إذ أنبث أشقاها" أنبث لها رجل عازم عزيز متبع في رهطه مثل أبي زمعة" (أخرجه البخاري ومسلم والترمذى والنمسائى من حديث عبد الله بن زمعة). وروى ابن أبي حاتم، عن عمار بن ياسر قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على: "الاً أحدثك بأشقي الناس؟" قال: بلى، قال: "رجلان أحيمير ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضررك يا علي على هذا - يعني قرنه - حتى تبتل منه هذه" يعني لحيته قوله تعالى: {فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ} يعني صالح عليه السلام {نَاقَةَ اللَّهِ} أي احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء، {وَسُقْيَاهَا} أي لا تعتدوا عليها في سقيتها فإن لها شرب يوم، ولكن شرب يوم معلوم، قال الله تعالى: {فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا} أي كذبوا فيما جاءهم به، فأعقبهم ذلك أن عقروا الناقة، التي أخرجها الله من الصخرة آية لهم وحجة عليهم، {فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ} أي غضب عليهم فدمّر عليهم، {فَسَوَاهَا} أي فجعل العقوبة نازلة عليهم على السواء. قال قتادة: بلغنا أن أحيمير ثمود لم يعقر الناقة حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكريهم وأنثائهم، فلما اشترك القوم في عقرها دمم الله عليهم بذنبهم، فسوها، و قوله تعالى: {وَلَا يَخَافُ عَقْبَاهَا} قال ابن عباس: لا يخاف الله من أحد تبعة (وكذا قال مجاهد والحسن وبكر المزنى وغيرهم)، وقال الضحاك والسدي: {وَلَا يَخَافُ عَقْبَاهَا} أي لم يخف الذي عقرها عاقبة ما صنع، والقول الأول أولى لدلالة السياق عليه، والله أعلم.

## 92 - سورة الليل

[مقمية]

تقدير قوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ: "فهلا صليت بسبح اسم رب الأعلى، والشمس وضحاها، والليل إذا يغشى".

بسم الله الرحمن الرحيم

وَاللَّيلُ إِذَا يَعْنَى {1} وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّ {2} وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأنثى {3} إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى {4} فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَأَتَقَى {5} وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى {6} فَسَيْئَرُهُ لِلْيُسْرَى {7} وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ

وَاسْتَغْفِي {8} وَكَذَبَ بِالْحُسْنَى {9} فَسَيِّسِرُهُ لِلْعُسْرَى {10} {وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَا لَهُ إِذَا تَرَدَّى  
{11}}

أقسم تعالى بالليل {إذا يغشى} أي إذا غشى الخليقة بظلماته، {والنهار إذا تجلى} أي بضيائه وإشراقه، {وما خلق الذكر والأنثى} قوله تعالى: {وَخَلَقَكُمْ أَزْوَاجًا}، {إِنْ سَعِيكُمْ لِشَتِّي} أي أعمال العباد التي اكتسبوها متضادة ومتخالفة، فمن فاعل خيراً ومن فاعل شراً، قال الله تعالى: {فَإِنَّمَا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى} أي أعطى ما أمر بإخراجه، واتقى الله في أموره، {وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى} بالمجازة على ذلك أي بالثواب، وقال ابن عباس، ومجاهد: {صَدَقَ بِالْحُسْنَى} أي بالخلف، وقال الضحاك: بلا إله إلا الله، وقال أبي بن كعب: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحسنى قال: "الحسنى: الجنة" (آخر جهه ابن أبي حاتم). قوله تعالى: {فَسَيِّسِرُهُ لِلْيُسْرَى} قال ابن عباس: يعني للخير، وقال زيد بن أسلم: يعني للجنة، {وَمَا مَنْ بَخْلَ} أي بما عنده {وَاسْتَغْفِي} قال ابن عباس: أي بخل بهم الله واستغنى عن ربه عزوجل: {وَكَذَبَ بِالْحُسْنَى} أي بالجزاء في الدار الآخرة {فَسَيِّسِرُهُ لِلْعُسْرَى} أي لطريق الشر، كما قال تعالى: {وَنَقْلَبُ أَفْئَدِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةً، وَنَذِرُهُمْ فِي طَغْيَانِهِمْ يَعْمَلُونَ} ، والآيات في هذا المعنى كثيرة دالة على أن الله عزوجل يجازي من قصد الخير بالتوفيق له، ومن قصد الشر بالخذلان، وكل ذلك بقدر مقدر، والأحاديث الدالة على هذا المعنى كثيرة. روى البخاري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بقيع الغرقد في جنازة فقال: "ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومعدده من النار"، فقالوا: يا رسول الله أفلأ نتكل؟ قال: "اعملوا بكل ميسر لما خلق لكم"، ثم قرأ: {فَإِنَّمَا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى فَسَيِّسِرُهُ لِلْيُسْرَى – إِلَى قَوْلِهِ – لِلْعُسْرَى} ، وفي رواية أخرى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخرصة فنكش، فجعل ينكت بمخصرته، ثم قال: "ما منكم من أحد – أو ما من نفس منفوسه – إلا كتب مكانها من الجنة والنار، إلا كتبت شقية أو سعيدة"، فقال رجل: يا رسول الله أفلأ نتكل على كتابنا وندع العمل؟ فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى أهل السعادة، ومن كان منا من أهل الشقاء فسيصير إلى أهل الشقاء؟ فقال: "أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاء فييسرون إلى عمل أهل الشقاء"، ثم قرأ: {فَإِنَّمَا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى فَسَيِّسِرُهُ لِلْيُسْرَى \* وَمَا مَنْ بَخْلَ وَاسْتَغْفِي وَكَذَبَ بِالْحُسْنَى فَسَيِّسِرُهُ لِلْعُسْرَى} (آخر جهه البخاري وبقية الجماعة).

وعن جابر بن عبد الله أنه قال: يا رسول الله أعمل لأمر قد فرغ منه أو لأمر نستأنه؟ فقال: "لأمر قد فرغ منه" فقال سراقة: ففيما العمل إذ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كل عامل ميسير لعمله" (رواوه مسلم وابن جرير). وفي الحديث: "ما من يوم غربت فيه شمسه إلا ويجنبتها ملكان يناديان يسمعهما خلق الله كلهم إلا الثقلين: اللهم أعط منفأً خلفاً وأعط ممسكاً ثلفاً" وأنزل الله في ذلك القرآن: {فَإِنَّمَا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى فَسَيِّسِرُهُ لِلْيُسْرَى \* وَمَا مَنْ بَخْلَ وَاسْتَغْفِي وَكَذَبَ بِالْحُسْنَى فَسَيِّسِرُهُ لِلْعُسْرَى} (رواوه ابن جرير وابن أبي حاتم). وذكر أن هذه الآية نزلت في (أبي بكر الصديق) رضي الله عنه كان يعتقد على الإسلام

بمكة، فكان يعتق عجائز ونساء إذا أسلمن، فقال له أبوه: أيبني أراك تعتق أناساً ضعفاء، فلو أنك تعتق رجالاً جلاء يقومون معك، ويمنعونك ويدفعون عنك، فقال: أي أبت إنما أريد ما عند الله، فنزلت الآية: {فَمَا مِنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى فَسَيِّسِرْهُ لِلْيُسْرَى} (آخرجه ابن جرير)، وقوله تعالى: {وَمَا يَغْنِي عَنْهُ مَا لَهُ إِذَا تَرَدَّى} قال مجاهد: أي إذا مات، وقال زيد بن أسلم: إذا تردى في النار.

**إِنَّ عَلَيْنَا لِلْهُدَى {12} وَإِنَّ لَنَا لِلآخرةِ وَالْأُولَى {13} فَانذِرْنَاكُمْ نَاراً تَلَظِّي {14} لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى {15} الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى {16} وَسَيِّسِنَهَا الْأَنْقَى {17} الَّذِي يُؤْنِي مَالَهُ يَتَرَكُ {18} وَمَا لِأَحَدٍ عِنْهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى {19} إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى {20} وَلَسَوْفَ يَرْضَى {21}**

قال قتادة {إن علينا للهدي}: أي نبين الحال والحرام، وقال غيره: من سلك طريق الهدي وصل إلى الله، وجعله كقوله تعالى: {وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ}، وقوله تعالى: {إِنَّ لَنَا لِلآخرةِ وَالْأُولَى} أي الجميع ملكتنا وأنا المتصرف فيهما، وقوله تعالى: {فَانذِرْنَاكُمْ نَاراً تَلَظِّي} قال مجاهد: أي توهج، وفي الحديث: "إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيمة" رجل توضع في أحخص قدميه جمرتان يغلب على منها دماغه" أخرجه البخاري. وفي رواية مسلم: "إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشرا كان من نار يغلب على منها دماغه كما يغلب المرجل ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً وإنه لأهونهم عذاباً" (أخرجه مسلم عن النعمان بن بشير)، وقوله تعالى: {لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى} أي لا يدخلها إلا الأشقي، ثم فسره فقال: {الَّذِي كَذَّبَ} أي بقلبه [ونتولى] أي عن العمل بجواره وأركانه، عن أبي هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يدخل النار إلا شقي"، قيل: ومن الشقي؟ قال: "الذي لا يعمل بطاعة، ولا يترك لله معصية" (أخرجه الإمام أحمد).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كل أمتي تدخل الجنة يوم القيمة إلا من أبيه"، قالوا: ومن يأتي يا رسول الله؟ قال: "من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبي" (آخرجه البخاري وأحمد عن أبي هريرة)، وقوله تعالى: {وَسَيِّسِنَهَا الْأَنْقَى} أي وسيزحزح عن النار التقى التقى الأنقى، ثم فسره بقوله: {الَّذِي يُؤْنِي مَالَهُ يَتَرَكُ} أي يصرف ماله في طاعة ربه ليزكي نفسه {وَمَا لِأَحَدٍ عِنْهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى} أي طمعاً في أن يحصل له رؤيته في الدار الآخرة وإنما دفعه ذلك {ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى} أي طمعاً في أن يحصل له رؤيته في روضات الجنات، قال الله تعالى: {وَلَسَوْفَ يَرْضَى} أي ولسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات. وقد ذكر المفسرون أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حتى إن بعضهم حكى الإجماع على ذلك، ولا شك أنه داخل فيها وأولى الأمة بعمومها فإنه كان صديقاً نقياً، كريماً جوداً، بذلاً لأمواله في طاعة مولاه، ونصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل، ولهذا قال له (عروة بن مسعود) وهو سيد ثقيف يوم صلح الحديبية: أما والله لو لا يد لك عندي لم أجزك بها لأجبنك، وكان الصديق قد أغاظ له في المقالة، فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل فكيف بمن عداهم؟ ولهذا قال تعالى: {وَمَا لِأَحَدٍ عِنْهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى \* إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى \* وَلَسَوْفَ يَرْضَى}. وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"من أعتق زوجين في سبيل الله، دعته خزنة الجنة يا عبد الله هذا خبر"، فقال أبو بكر: يا رسول الله ما على من يدعى منها ضرورة، فهل يدعى منها كلها أحد؟ قال: "نعم وأرجو أن تكون منهم".

### 93 - سورة الصحي.

[مقدمة]

يستحب التكبير من آخر الصحي لآخر سورة الناس، وقد ذكر القراء أن ذلك سنة مأثورة وذكروا في مناسبة التكبير من أول (سورة الصحي) أنه لما تأخر الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتر تلك المدة ثم جاء الملك فأوحى إليه: {والصحي والليل إذا سجي} السورة بتمامها كبر فرحاً وسروراً (قال ابن كثير: لم يرو ذلك بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف فالله أعلم).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

وَالصُّحَىٰ {1} وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ {2} مَا وَدَعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ {3} وَلِلَّآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَىٰ {4} وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ {5} أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَأَوَىٰ {6} وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ {7} وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَاغْنَىٰ {8} فَإِنَّمَا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ {9} وَإِنَّمَا السَّائِلَ فَلَا تَهَرْ {10} وَإِنَّمَا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدَّثْ {11}

روى الإمام أحمد، عن جذب بن عبد الله قال: أشتكى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلة أو ليلتين، فاقت إمرأة فقالت: يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك، فأنزل الله عزوجل: {والصحي والليل إذا سجي \* ما ودعك ربك وما قلَى} (أخرجه الشیخان والترمذی والنمسانی). وفي رواية: أبطأ جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال المشركون: ودع محمدأ ربه، فأنزل الله تعالى: {والصحي والليل إذا سجي \* ما ودعك ربك وما قلَى}، وهذا قسم منه تعالى بالصحي وما جعل فيه من الضباء {والليل إذا سجي} أي سكن فأظلم وادلهم، وذلك دليل ظاهر على قدرته تعالى، كما قال تعالى: {والليل إذا يعشى \* والنهر إذا تجلى}، وقال تعالى: {فالآن الإاصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم}، وقوله تعالى: {ما ودعك ربك} أي ما تركك {وما قلَى} أي وما أغضك، {وللآخرة خير لك من الأولي} أي وللدار الآخرة خير لك من هذه الدار، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهد الناس في الدنيا وأعظمهم لها إطراماً، كما هو معلوم بالضرورة من سيرته، ولما خير عليه السلام في آخر عمره، بين الخلد في الدنيا إلى آخرها ثم الجنة، وبين الصيرورة إلى الله عزوجل، اختار ما عند الله على هذه الدنيا الدنيا ، روى الإمام أحمد، عن عبد الله بن مسعود قال: اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فاثر في جنبه، فلما استيقظ جعلت أمسح جنبه، وقلت: يا رسول الله ألا آذنتنا حتى نبسط لك على الحصير شيئاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مالي وللدنيا إنما مثلني ومثل الدنيا كراكب ظل تحت شجرة ثم راح وتركها" (وأخرجه الترمذی وابن ماجة، وقال الترمذی: حسن صحيح).

وقوله تعالى: {ولسوف يعطيك ربك فترضى} أي في الدار الآخرة يعطيه حتى يرضيه في أمنه، وفيما أعدد له من الكرامة، ومن جملته نهر الكوثر الذي حافته قباب اللؤلؤ المجوف وطينه مسک أذفر كما سيأتي. وروي عن ابن عباس أنه قال: عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هو مفتوح على أمنه من بعده كنزاً كنزاً فسرّ بذلك، فأنزل الله {ولسوف يعطيك ربك فترضى} فأعطاه في الجنة ألف قصر في كل قصر ما ينبعي له من الأزواج والخدم (أخرجه ابن جرير، قال ابن كثير: إسناده صحيح، ومثل هذا لا يقال إلا عن توفيق)، وقال السدي عن ابن عباس: من رضاء محمد صلى الله عليه وسلم أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار، قال الحسن: يعني بذلك الشفاعة، ثم قال تعالى يعدد نعمه على عبده رسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه: {الم يجدك يتيمًا فلوي} وذلك أن آباء توفى وهو حمل في بطنه أمه، ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وله من العمر ست سنين، ثم كان في كفالة جده عبد المطلب إلى أن توفي وله من العمر ثمان سنين، فكفله عم أبو طالب، ثم لم يزل يحوطه وينصره ويرفع من قدره ويوقره ويكتف عنه أذى قومه بعد أن ابتعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره، هذا وأبو طالب على دين قومه من عبادة الأولئـان، وكل ذلك بقدر الله وحسن تدبـره، إلى أن توفي أبو طالب قبل الهجرة بقليل، فأقدم عليه سفهاء قريش وجهـهم ، فاختار الله له الهجرة من بين أظهرـهم إلى بلد الأنصار من الأوس والخزرج، كما أجرى الله سنته على الوجه الأتم الأكـمـلـ، فلما وصل إليـهم آواهـ ونصرـوهـ وحـاطـوهـ وقاتـلوـاـ بين يديـهـ رضـيـ اللهـ عـنـهـمـ أـجـمـعـينـ، وكلـ هـذاـ منـ حـفـظـ اللهـ لـهـ وـكـلـاءـهـ وـعـنـيـتـهـ بـهـ.

وقوله تعالى: {ووـجـدـكـ ضـالـاـ فـهـدـيـ} قوله: {وكـذـكـ أوـحـيـنـاـ إـلـيـكـ روـحـاـ منـ أـمـرـنـاـ ماـ كـنـتـ تـدـرـيـ مـاـ الـكـتـابـ وـلـاـ إـيمـانـ} الآية، ومنـهـ منـ قـالـ: إنـ المرـادـ بـهـذاـ أـنـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ضـلـلـ فـيـ شـعـابـ مـكـةـ وـهـوـ صـغـيرـ ثـمـ رـجـعـ، وـقـيـلـ: إـنـهـ ضـلـلـ وـهـوـ مـعـ عـمـهـ فـيـ طـرـيـقـ الشـامـ وـكـانـ رـاكـبـاـ نـاقـةـ فـيـ اللـيـلـ، فـجـاءـ إـبـلـيـسـ فـعـدـلـ بـهـاـ عـنـ الطـرـيـقـ، فـجـاءـ جـبـرـيلـ فـنـفـخـ إـبـلـيـسـ نـفـخـةـ ذـهـبـ مـنـهـ إـلـىـ الـجـبـشـةـ، ثـمـ عـدـلـ بـالـرـاحـلـةـ إـلـىـ الطـرـيـقـ، حـكـاهـ الـبـغـوـيـ، وـقـوـلـهـ تـعـالـيـ: {وـوـجـدـكـ عـائـلاـ فـأـغـنـيـ} أـيـ كـنـتـ فـقـيرـاـ ذـاـ عـيـالـ فـأـغـنـاـكـ اللـهـ عـمـنـ سـواـهـ، فـجـمـعـ لـهـ بـيـنـ مـقـامـيـ الـقـيـرـ الصـابـرـ، وـالـغـنـيـ الشـاكـرـ، صـلـوـاتـ اللـهـ وـسـلـامـهـ عـلـيـهـ، وـفـيـ الصـحـيـحـيـنـ عـنـ أـبـيـ هـرـيـرـةـ قـالـ، قـالـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ: "لـيـسـ الغـنـىـ عـنـ كـثـرـ الـعـرـضـ وـلـكـنـ الغـنـىـ غـنـىـ النـفـسـ". وـفـيـ صـحـيـحـ مـسـلـمـ عـنـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ عـمـرـ وـقـالـ، قـالـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ: "قـدـ أـفـلـحـ مـنـ أـسـلـمـ وـرـزـقـ كـفـافـ وـقـنـعـهـ اللـهـ بـمـاـ آتـاهـ". ثـمـ قـالـ تـعـالـيـ: {فـأـمـاـ الـبـيـتـمـ فـلـاـ تـقـهـرـ} أـيـ كـمـاـ كـنـتـ يـتـيمـاـ فـلـاوـاـكـ اللـهـ، فـلـاـ تـقـهـرـ الـبـيـتـمـ، أـيـ لـاـ تـذـلـهـ وـتـهـرـهـ وـتـهـنـهـ، وـلـكـنـ أـحـسـنـ إـلـيـهـ وـتـلـطـفـ بـهـ، وـقـالـ قـنـادـةـ: كـنـ الـبـيـتـمـ كـالـأـبـ الرـحـيمـ، {وـأـمـاـ السـائـلـ فـلـاـ تـهـرـ} أـيـ وـكـمـاـ كـنـتـ ضـالـاـ فـهـدـاـكـ اللـهـ، فـلـاـ تـهـرـ السـائـلـ فـيـ الـعـلـمـ الـمـسـتـرـشـ، قـالـ اـبـنـ إـسـحـاقـ: {وـأـمـاـ السـائـلـ فـلـاـ تـهـرـ} أـيـ فـلـاـ تـكـنـ جـبارـاـ وـلـاـ مـتـكـبـراـ، وـلـاـ فـحـاشـاـ وـلـاـ فـظـاـ عـلـىـ الـضـعـفـاءـ مـنـ عـبـادـ اللـهـ، وـقـالـ قـنـادـةـ: يـعنـيـ رـذـ المـسـكـينـ بـرـحـمـةـ وـلـيـنـ، {وـأـمـاـ بـنـعـمـةـ رـبـكـ فـحـدـثـ} أـيـ وـكـمـاـ كـنـتـ عـائـلاـ فـقـيرـاـ فـأـغـنـاـكـ اللـهـ، فـحـدـثـ بـنـعـمـةـ اللـهـ عـلـيـكـ، كـمـاـ جـاءـ فـيـ الدـعـاءـ الـمـائـورـ: "وـاجـعـلـنـاـ شـاكـرـيـنـ لـنـعـمـتـكـ، مـتـبـنـيـنـ بـهـاـ عـلـيـكـ، قـابـلـيـهاـ وـأـتـمـهاـ عـلـيـنـاـ". وـعـنـ أـبـيـ نـصـرـةـ قـالـ: كـانـ الـمـسـلـمـونـ يـرـوـنـ أـنـ شـكـرـ النـعـمـ أـنـ يـحـدـثـ بـهـ (روـاهـ اـبـنـ جـرـيرـ)، وـفـيـ الصـحـيـحـيـنـ عـنـ أـئـمـةـ الـمـهـاجـرـيـنـ قـالـواـ: يـاـ رـسـوـلـ اللـهـ ذـهـبـ الـأـنـصـارـ بـالـأـجـرـ كـلـهـ، قـالـ: "لـاـ، مـاـ دـعـوتـ اللـهـ لـهـمـ، وـأـثـيـتـمـ عـلـيـهـمـ" (أـخـرـجـهـ الشـيـخـانـ)

وروى أبو داود عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يشكر الله من لا يشك الناس" (وأخرجه الترمذى). وقال مجاهد: يعني النبوة التي أعطاك ربك، وفي رواية عنه: القرآن، وقال الحسن بن علي: ما عملت من خير فحدث إخوانك، وقال ابن اسحاق: ما جاءك من الله من نعمة وكرامة من النبوة، فحدث بها واذكرها وادع إليها.

#### 94 - سورة الشرح.

بسم الله الرحمن الرحيم.

أَلَمْ تُشَرِّحْ لَكَ صَدْرَكَ {1} وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ {2} الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ {3} وَرَفَعْنَا لَكَ ذَكْرَكَ {4} فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا {5} إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا {6} فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ {7} وَإِلَى رِبِّكَ فَارْجِبْ {8}

يقول تعالى: {ألم نشرح لك صدرك} يعني قد شرحنا لك صدرك أي نورناه، وجعلناه فسيحاً رحيباً واسعاً ك قوله: { فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام}، وكما شرح الله صدره كذلك جعل شرعه فسيحاً سمحاً سهلاً، لا حرج فيه ولا إصر ولا ضيق، وقيل: المراد بقوله: {ألم نشرح لك صدرك} شرح صدره ليلة الإسراء، وهذا وإن كان واقعاً ليلة الإسراء، ولكن لا منافاة، فإن من جملة شرح صدره الحسي الشرح المعنوي أيضاً، وقوله تعالى: {وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ} بمعنى {ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر}، {الذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ} الإنقاذه الصوت أي أنقذك حمله، وقوله تعالى: {وَرَفَعْنَا لَكَ ذَكْرَكَ} قال مجاهد: لا انكر إلا ذكرت معي "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله"، وقال قتادة: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، روى ابن جرير عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أنا ذي جبريل فقال: إن ربك وربك يقول: كيف رفعت ذكرك؟ قال: الله أعلم، قال: إذا ذكرت ذكرت معي". وحكى البغوي عن ابن عباس ومجاهد أن المراد بذلك الأذان، يعني ذكره فيه، كما قال حسان بن ثابت:

وضم الإله اسم النبي إلى اسمه \*      إذ قال في الخمس المؤذن أشهد  
وشق له من اسمه ليجله \*      فدو العرش محمود وهذا محمد

وقال آخرون: رفع الله ذكره في الأولين والآخرين، ونوه به حين أخذ الميثاق على جميع النبيين أن يؤمنوا به، وأن يأمرموا أممهم بالإيمان به، ثم شهر ذكره في أmente، فلا يذكر الله إلا ذكر معه. وقوله تعالى: [فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا \* إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا] أخبر تعالى أن مع العسر يوجد اليسر، ثم أكد هذا الخبر، بقوله: {إن مع العسر يسراً}، قال الحسن: كانوا يقولون: لا يغلب عسر واحد يسررين الشرين ، ومعنى هذا أن العسر معرف في الحالين، فهو مفرد، واليسير منكر، فتعدد، ولهذا قالوا : "لن يغلب عسر يسررين" يعني قوله: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا \* إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} فالعسر الأول عين الثاني، واليسير تعدد، ومما يروى عن الشافعى أنه قال:

صبراً جميلاً ما أقرب الفرجا \*      من راقب الله في الأمور نجا  
من صدق الله لم ينله أذى \*      ومن رجاه يكون حيث رجا  
وقال الشاعر:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى  
كملت فلما استحكت حلقاتها  
\* ذرعاً وعند الله منها المخرج  
\* فرجت وكان يظنها لا تفرج

وقوله تعالى: {إِذَا فَرَغْتَ فَانصِبْ \* إِلَى رَبِّكَ فَارْغِبْ} أي إذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها، وقطعت علاقتها فانصب إلى العبادة، وقم إليها نشيطاً فارغ البال، واحلص لربك التي ورثة، قال مجاهد في هذه الآية: إذا فرغت من أمر الدنيا فقمت إلى الصلاة فانصب لربك. وعن ابن مسعود: إذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل، وفي رواية عنه {فانصب} بعد فراغك من الصلاة وأنت جالس، وقال ابن عباس {إِذَا فَرَغْتَ فَانصِبْ} يعني في الدعاء، وقال الضحاك {إِذَا فَرَغْتَ} أي من الجهاد {فانصب} أي في العبادة {إِلَى رَبِّكَ فَارْغِبْ} قال الثوري: أجعل نيتك ورغباتك إلى الله عزوجل.

## 95 - سورة التين.

[مقدمة]

روى مالك عن البراء بن عازب قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في سفره في إحدى الركعتين بالتين والزيتون، مما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه" أخرجه الجماعة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

وَالْتَّيْنِ وَالرَّبَّيْتُونَ {1} وَطُورُ سَيْنَيَنَ {2} وَهَذَا الْبَلْدُ الْأَمِينُ {3} لَقَدْ خَلَقْنَا إِلَيْنَا إِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ {4} ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ {5} إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَحْرَرُ غَيْرُ مَمْتُونٍ {6} فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالَّدِينِ {7} أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ {8}

اختلف المفسرون هنا على أقوال كثيرة فقيل: المراد بالتين دمشق، وقيل: الجبل الذي عندها، وقال القرطيسي: هو مسجد أصحاب الكهف، وروي عن ابن عباس: أنه مسجد نوح الذي على الجودي ، وقال مجاهد: هو تينكم هذا {والزيتون} قال قتادة: هو بيت المقدس، وقال مجاهد وعكرمة: هو هذا الزيتون الذي تعصرون، {وطور سينين} هو الجبل الذي كلام الله عليه موسى عليه السلام، {وهذا البلد الأمين} يعني مكة (هو قول جمهور المفسرين، قال ابن كثير: ولا خلاف في ذلك)، قاله ابن عباس ومجاهد، وقال بعض الأئمة: هذه محال ثلاثة، بعث الله في كل واحد منها نبياً مرسلاً من أولي العزم، أصحاب الشرائع الكبار. (فالأول) محلة التين والزيتون وهي (بيت المقدس) التي بعث الله فيها عيسى ابن مريم عليه السلام، (والثاني) طور سينين وهو (طور سيناء) الذي كلام الله عليه موسى بن عمران، (والثالث) مكة وهو (البلد الأمين) الذي من دخله كان آمناً، وهو الذي أرسل فيه محمداً صلى الله عليه وسلم، قالوا: وفي آخر التوراة ذكر هذه الأماكن الثلاثة: جاء الله من طور سيناء - يعني الذي كلام الله عليه موسى بن عمران - وأشار من ساعير - يعني جبل بيت المقدس الذي بعث الله منه عيسى - واستعلن من جبال فاران - يعني جبال مكة التي أرسل الله منها محمداً صلى الله عليه وسلم، فذكرهم مخبراً عنهم على الترتيب الوجودي، بحسب ترتيبهم في الزمان، ولهذا أقسم بالأشرف ثم الأشرف منه، ثم الأشرف منهما.

وقوله تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَوْقِيمٍ} هذا هو المقسم عليه، وهو أنه تعالى خلق الإنسان في أحسن صورة وشكل؛ منتصب القامة، سوي الأعضاء حسنها. {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافَلِينَ} أي إلى النار (قاله مجاهد والحسن وأبو العالية وابن زيد)، أي بعد هذا الحسن والتضارة، مصيره إلى النار إن لم يطع الله ويتبع الرسل، ولهذا قال: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}، وقال بعضهم: {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافَلِينَ} إلى أرذل العمر (وروي هذا القول عن ابن عباس وعكرمة، حتى قال عكرمة: من جمع القرآن لم يردد إلى أرذل العمر)، واختار ذلك ابن جرير، ولو كان هذا هو المراد لما حسن استثناء المؤمنين من ذلك، لأن الهرم قد يصيب بعضهم، وإنما المراد ما ذكرناه كقوله تعالى: {وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خَسْرٍ \* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}، قوله: {فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَنْتَهٍ} أي غير مقطوع، ثم قال: {فَمَا يَكْنِبُكَ} أي يا ابن آدم {بَعْدَ بَالَّدِينِ}؟ أي بالجزاء في المعاد، وقد علمت البداية وعرفت أن من قدر على البداية فهو قادر على الرجعة بطريق الأولى:، فأي شيء يحملك على التكذيب بالمعاد وقد عرفت هذا؟ روى ابن أبي حاتم عن منصور قال، قلت لمجاهد: {فَمَا يَكْنِبُكَ بَعْدَ بَالَّدِينِ} عنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: "معاذ الله" عنى به الإنسان ، وقوله تعالى: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ} أي أما هو أحكم الحاكمين الذي لا يجور ولا يظلم أحداً، ومن عدله أن يقيم القيمة فينتصف للمظلوم في الدنيا من ظلمه.

## 96 - سورة العلق.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ {1} خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلْقٍ {2} أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ {3} الَّذِي عَلِمَ  
بِالْقَلْمَ {4} عَلَمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ {5}

عن عائشة قالت: أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حَبَّ إِلَيْهِ الْخَلَاء فكان يأتي حراء فتحتخت فيه - وهو التعبد - الليلي ذوات العدد، ويترزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود لمثلها حتى فجأه الوحي، وهو في غار حراء فجاءه الملك فيه، فقال: أقرأ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فقلت: ما أنا بقارئ - قال - فأخذني فغطني، حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: أقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: أقرأ باسم ربك الذي خلق - حتى بلغ - ما لم يعلم". قال: فرجع بها ترجم بوادره، حتى دخل على خديجة فقال: "رَمَلُونِي زَمَلُونِي"، فزملوه حتى ذهب عنه الرُّوع فقال: يا خديجة: "مالي؟!" وأخبرها الخبر، وقال: "قد خشيت على نفسي". فقالت له: "كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق"، ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به (ورقة بن نوفل) بن أسد بن عبد العزى بن قصى، وهو ابن عم خديجة أخي أبيها، وكان امراً قد تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، وكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب، وكان شيئاً كبيراً قد عمي، فقالت خديجة: أي ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال ورقة: ابن أخي ما ترى؟ فأخبره رسول الله

صلى الله عليه وسلم بما رأى فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً حين يخرجك قومك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أو مخرجـيـ هـمـ؟" قال ورقة: نعم لم يأتـ رـجـلـ قـطـ بما جـئـتـ بهـ إـلاـ عـودـيـ، وإن يـدـركـنيـ يـوـمـكـ أـنـصـرـكـ نـصـرـاـ مـؤـزـراـ، ثم لم يـشـبـ وـرـقـةـ أـنـ تـوـفـيـ، وـفـتـرـ الـوـحـيـ" (آخرـهـ الشـيـخـانـ والإـمـامـ أـحـمـدـ وـالـلـفـظـ لـهـ).

فأول شيء نزل من القرآن هذه الآيات الكرييمات المباركات، وهن أول رحمة رحم الله بها العباد، وأول نعمة أنعم الله بها عليهم، وفيها التنبية على ابتداء خلق الإنسان من علقة، وأن من كرمه تعالى أن علم الإنسان ما لم يعلم فشرقه وكرمـهـ بـالـعـلـمـ، وهو القدر الذي امتاز به أبو البرية آدم على الملائكة؛ والعلم تارة يكون في الأذهان، وتارة يكون في اللسان، وتارة يكون في الكتابة بالبنان (وفي الآخر: قيدوا العلم بالكتابة)، ذهني، ولفظي، رسمي، فلهذا قال: {اقرأْ وربكَ الأكْرَمْ \* الَّذِي عَلِمَ بِالْقُلُوبِ \* عِلْمَ الْإِنْسَانِ مَا لَمْ يَعْلَمْ}، وفي الآخر: من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يكن يعلم.

كَلَّا إِنَّ إِلَيْنَا لَيَطْغَىٰ {6} أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَىٰ {7} إِنَّ إِلَيْ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ {8} أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ {9} عَبْدًا إِذَا صَلَىٰ {10} أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ {11} أَوْ أَمْرَ بِالشَّرْوَىٰ {12} أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّىٰ {13} أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ {14} كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَتَهَّنَ لَتَسْفَعَ بِالنَّاصِيَةَ {15} نَاصِيَةَ كَاذِبَةَ خَاطِئَةَ {16} فَلَيَدْعُ نَادِيهَ {17} سَنْدُغُ الزَّبَانِيَةَ {18} كَلَّا لَا تُطْعِمُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ {19}

يخبر تعالى عن الإنسان، أنه ذو أشر وبطر وطغيان، إذا رأى نفسه قد استغنى وكثير ماله، ثم تهدده وتوعده ووعظه فقال: {إن إلى ربك الرجعى} أي إلى الله المصير والمرجع، وسيحاسبك على مالك من أين جمعته وفيم صرفته. عن عبد الله بن مسعود قال: منهومان لا يشباعن: صاحب العلم وصاحب الدنيا، ولا يستويان، فأما صاحب العلم فيزداد رضى الرحمن، وأما صاحب الدنيا فيتمادي في الطغيان، قال، ثم قرأ عبد الله: {إن الإنسان ليطغىْ \* أن رأه استغنىْ}، وقال للآخر: {إنما يخشى الله من عباده العلماء}، وقد روى هذا مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: "منهومان لا يشباعن: طالب علم، وطالب دنيا" (آخرجه ابن أبي حاتم)، ثم قال تعالى: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ \* عَبْدًا إِذَا صَلَىٰ} نزلت في (أبي جهل) لعنه الله، توعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصلاة عند البيت، فوعظه تعالى بالتي هي أحسن أولاً، فقال: {أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ} أي فما أطناك إن كان هذا الذي تنتهاه على الطريق المستقيمة في فعله {أَوْ أَمْرَ بِالنَّقْوَىٰ} بقوله وأنت تزجره وتتوعده على صلاته؟ ولهذا قال: {أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ}؟ أي أما علم هذا الناهي لهذا المنهدي أن الله يراه ويسمع كلامه، وسيجازيه على فعله أتم الجزاء، ثم قال تعالى متوعداً ومتهدداً {كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَتَهَّنَ} أي لئن لم يرجع عما هو فيه من الشفاق والعناد {لَتَسْفَعَ بِالنَّاصِيَةَ} أي لنسمتها سواداً يوم القيمة، ثم قال: {نَاصِيَةَ كَاذِبَةَ خَاطِئَةَ} يعني ناصية (أبي جهل) كاذبة في مقالها، خاطئة في أفعالها،

{فَلِيدُ نَادِيهِ} أَيْ قَوْمٍ وَعَشِيرَتِهِ أَيْ لِيَدِهِمْ يَسْتَنْصِرُ بِهِمْ، {سَندُ الْزَّبَانِيَّةِ} وَهُمْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ حَتَّى يَعْلَمَ مَنْ يَغْلِبُ، أَحْزَبُنَا أَوْ حَزْبُهُ؟

روى البخاري عن ابن عباس قال، قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً يصلى عند الكعبة لأطأن على عنقه، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "لئن فعل لأخذه الملائكة". عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى عند المقام، فمرّ به أبو جهل بن هشام، فقال: يا محمد ألم أنهك عن هذا؟ وتوعده فأغاظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتهـ، فقال: يا محمد بأي شيء تهدبني؟ أما والله إني لأكثر هذا الوادي نادياً، فأنزل الله: {فَلِيدُ نَادِيهِ \* سَندُ الْزَّبَانِيَّةِ} وقال ابن عباس: لو دعا ناديه لأخذته ملائكة العذاب من ساعته (آخره أحمـ والترمذـيـ، وقال حسن صحيحـ). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال أبو جهل: هل يعـرـ محمد وجهـهـ بين أظـهـركـ؟ قالـواـ: نـعـمـ، قالـ: اللـاتـ والـعـزـىـ لـئـنـ رـأـيـتـهـ يـصـلـيـ كـذـلـكـ لأطـانـ علىـ رـقـبـتـهـ، وـلـأـعـرـفـنـ وـجـهـهـ فيـ التـرـابـ، فـأـتـيـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـيـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـهـ يـصـلـيـ لـيـطـاـ علىـ رـقـبـتـهـ، قـالـ: فـمـاـ فـاجـهـمـ مـنـ إـلـاـ وـهـ يـنـكـصـ عـلـىـ عـقـبـيـهـ وـيـتـقـيـ بـيـدـيـهـ، قـالـ: فـقـبـلـ لـهـ مـالـكـ؟ قـالـ: إـنـ بـيـنـيـ وـبـيـنـهـ خـنـدـقـاـ مـنـ نـارـ وـهـوـلـاـ وـأـجـنـحةـاـ قـالـ، فـقـالـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـيـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ: "لـوـ دـنـيـ مـنـ لـاخـتـقـفـتـهـ مـلـائـكـةـ عـضـوـاـ عـضـوـاـ"، قـالـ: وـأـنـزـلـ اللهـ: {كـلـاـ إـنـ إـلـاـ إـنـسـانـ لـيـطـغـيـ} (رواـهـ أـحـمـدـ وـالـنـسـائـيـ وـابـنـ جـرـيرـ وـالـلـفـظـ لـهـ) إـلـىـ آخـرـ السـوـرـةـ، وـقـوـلـهـ تـعـالـىـ: {كـلـاـ لـاـ تـطـعـهـ} يـعـنىـ يـاـ مـحـمـدـ لـاـ تـطـعـهـ فـيـمـاـ يـنـهـاـكـ عـنـهـ مـنـ الـمـادـوـمـةـ عـلـىـ الـعـبـادـةـ وـكـثـرـتـهـ، وـصـلـلـ حـيـثـ شـتـ وـلـاـ تـبـالـهـ، فـإـنـ اللهـ حـافـظـكـ وـنـاصـرـكـ وـهـ يـعـصـمـكـ مـنـ النـاسـ، {وـاسـجـدـ وـاقـتـرـبـ} كـمـاـ ثـبـتـ فـيـ الصـحـيـحـ عـنـ أـبـيـ هـرـيـرـةـ أـنـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـيـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ قـالـ: "أـقـرـبـ مـاـ يـكـونـ العـبـدـ مـنـ رـبـهـ وـهـ سـاجـدـ فـأـكـثـرـوـ الدـعـاءـ" (رواـهـ مـسـلـمـ فـيـ صـحـيـحـهـ)، وـتـقـمـ أـيـضـاـ أـنـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـيـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ كـانـ يـسـجـدـ فـيـ {إـذـاـ السـمـاءـ اـنـشـقـتـ} وـ{اقـرـأـ بـاسـمـ رـبـكـ الـذـيـ خـلـقـ}.

## 97 - سورة القدر.

بـسـمـ اللهـ الرـحـمـنـ الرـحـيمـ.

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ {1} وَمَا أَدْرَاكُ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ {2} لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ {3} تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا يَا ذُنْ بَرِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ {4} سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ {5}

يخبر تعالى أنه أنزل القرآن {ليلة القدر} وهي الليلة المباركة التي قال الله عز وجل: {إنا أنزلناه في ليلة مباركة} وهي من شهر رمضان، كما قال تعالى: {شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن}، قال ابن عباس: أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مفصلاً بحسب الواقع في ثلاثة وعشرين سنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال تعالى معمظاً لشأن ليلة القدر التي اختصها بإيزال القرآن الكريمه فيها، فقال: {وما أدراك ما ليلة القدر \* ليلة القدر خير من ألف شهر}. روى ابن أبي حاتم، عن مجاهد أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر رجلاً من بنى إسرائيل ليس السلاح في سبيل ألف شهر، قال: فعجب المسلمين من ذلك قال: فأنزل الله عز وجل: {إنا أنزلناه في ليلة القدر

\* وما أدرك ما ليلة القدر \* ليلة القدر خير من ألف شهر} التي ليس ذلك الرجل السلاح في سبيل الله ألف شهر، وروى ابن جرير، عن مجاهد قال: كان فيبني إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح، ثم يجاهد العدو بالنهار حتى يمسي، ففعل ذلك ألف شهر، فأنزل الله هذه الآية {ليلة القدر خير من ألف شهر} قيام تلك الليلة، خير من عمل ذلك الرجل. وقال سفيان الثوري: بلغني عن مجاهد ليلة القدر خير من ألف شهر قال: عملها وصيامها وقيامها خير من ألف شهر، وعن مجاهد: ليلة القدر خير من ألف شهر ليس في تلك الشهور ليلة القدر، وقال عمرو بن قيس: عمل فيها خير من ألف شهر، وهذا القول بأنها أفضل من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر هو اختيار ابن جرير، والصواب، كقوله صلى الله عليه وسلم: "رباط ليلة في سبيل الله خير من ألف ليلة فيما سواه من المنازل". وفي الحديث الصحيح في فضائل رمضان قال عليه السلام: "فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرا فقد حرم" (أخرجه أحمد والنسائي)

ولما كانت ليلة القدر تعدل عبادتها عبادة ألف شهر، ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه" (أخرجه الشیخان). وقوله تعالى: {تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر} أي يكثر تنزيل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، والملائكة يتنزلون مع تنزيل البركة والرحمة، كما يتنزلون عند تلاوة القرآن، ويحيطون بحلق الذكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم تعظيماً له، وأما الروح فقيل: المراد به هنا جبريل عليه السلام، فيكون من باب عطف الخاص على العام، وقيل: هم ضرب من الملائكة كما تقدم في سورة النبأ، والله أعلم. وقوله تعالى: {من كل أمر} قال مجاهد: سلام هي من كل أمر، وقال سعيد بن منصور عن مجاهد في قوله: {سلام هي} قال: هي سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها أذى، وقال قنادة: تقضي فيها الأمور، وتقدر الأجال والأرزاق، كما قال تعالى: {فيها يفرق كل أمر حكيم}. وروى أبو داود الطیالسی، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في ليلة القدر: "إنها ليلة سابعة، أو تاسعة وعشرين، وإن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى". وقال قنادة وابن زيد في قوله: {سلام هي} يعني هي خير كلها ليس فيها شر إلى مطلع الفجر، وأمارة ليلة القدر أنها صافية بلجة، لأن فيها قمراً ساطعاً، ساكنة ساجية لا برد فيها ولا حر، والشمس صبيحتها تخرج مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في ليلة القدر: "ليلة سمحه طلقة لا حارة ولا باردة وتصبح شمس صبيحتها ضعيفة حمراء" (أخرجه الطیالسی)، وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إني رأيت ليلة القدر فأنسنتها وهي في العشر الأواخر من لياليها وهي طلقة بلجة، لا حارة ولا باردة، لأن فيها قمراً لا يخرج شيطانها حتى يضيء فجرها".

### فصل

اختلف العلماء هل كانت ليلة القدر في الأمم السالفة أو هي من خصائص هذه الأمة؟ فقال الزهرى: حدثنا مالك أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربى أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك، فكانه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل الذي بلغ غيرهم في طول العمر، فأعطاه الله ليلة القدر خيراً من ألف شهر (أخرجه مالك)، وهذا الذي قاله مالك

يقتضي تخصيص هذه الأمة لليلة القدر، وقيل: إنها كانت في الأمم الماضين كما هي في أمتنا، ثم هي باقية إلى يوم القيمة وفي رمضان خاصة لا كما روي عن ابن مسعود ومن تابعه من علماء أهل الكوفة من أنها توجد في جميع السنة، وترجى في جميع الشهور على السواء، وقد ترجم أبو داود في سنته على هذا فقال: (باب بيان أن ليلة القدر في كل رمضان)، ثم روى بسنده عن عبد الله بن عمر قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أسمع عن ليلة القدر؟ فقال: "هي في كل رمضان"، وقد حكي عن أبي حنيفة رحمه الله رواية أنها ترجى في كل شهر رمضان وهو وجه حكاه الغزالى.

### فصل

ثم قد قيل: إنها تكون في أول ليلة من شهر رمضان، وقيل: إنها تقع ليلة سبع عشرة، وهو قول الشافعى، ويحکى عن الحسن البصري، ووجهه بأنها ليلة بدر، وكانت ليلة جمعة هي السابعة عشرة من شهر رمضان، وفي صحيحتها كانت وقعة بدر، وهو اليوم الذي قال الله تعالى فيه: (يوم الفرقان). وقيل: ليلة تسع عشرة، يحکى عن علي وابن مسعود، وقيل: ليلة إحدى وعشرين لحديث أبي سعيد الخدري قال: اعتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم في العشر الأول من رمضان، واعتكفنا معه، فأتاه جبريل فقال: إن الذي تطلب أمامك، فاعتكف العشر الأوسط، فاعتكفنا معه، فأتاه جبريل فقال: الذي تطلب أمامك، ثم قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيباً صبيحة عشرين من رمضان، فقال: "من كان اعتكف معى فليرجع فاني رأيت ليلة القدر، وإني أنسنتها وإنها في العشر الأواخر في وتر، وإنني رأيت كأنى أسجد في طين وماء"، وكان سقف المسجد جريداً من النخل، وما نرى في السماء شيئاً، فجاءت قزعة، فطرنا فصلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم، حتى رأيت أثر الطين والماء على جهة رسول الله صلى الله عليه وسلم تصديق رؤياه في صبح إحدى وعشرين" (آخرجه الشیخان). قال الشافعى: وهذا الحديث أصح الروايات، وقيل: ليلة ثلاثة وثلاثين، وقيل: تكون ليلة خمس وعشرين لما رواه البخاري عن عبد الله بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "التمسوها في العشر الأواخر من رمضان في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى" فسره كثيرون بليالي الاوtar ، وهو أظهر وأشهر، وحمله آخرون على الأسفار. وقيل: إنها تكون ليلة سبع وعشرين، لما رواه مسلم في صحيحه عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها ليلة سبع وعشرين، قال الإمام أحمد: عن زر: سأله أبي بن كعب قلت: أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يقول: من يقم الحول يصب ليلة القدر، قال: يرحمه الله لقد علم أنها في شهر رمضان، وأنها ليلة سبع وعشرين، ثم حلف، قلت: وكيف تعلمون ذلك؟ قال: بالعلامة أو بالأية التي أخبرنا بها، تطلع ذلك اليوم لأشعاع لها يعني الشمس. وهو قول طائفة من السلف، ومذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله، وهو رواية عن أبي حنيفة أيضاً، وقيل: إنها تكون في ليلة تسع وعشرين، روى الإمام أحمد بن حنبل عن عبادة بن الصامت أنه سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "في رمضان فالتمسوها في العشر الأواخر فإنها وتر إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين أو سبع وعشرين أو تسع وعشرين أو في آخر ليلة". وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في ليلة القدر: "إنها في ليلة سابعة أو تاسعة وعشرين، وإن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى" (آخرجه أحمد). وقيل: إنها تكون في آخر ليلة لما تقدم من هذا الحديث أنفأ، ولما رواه الترمذى والنسائي من حديث

عبيدة بن عبد الرحمن عن أبيه عن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "في تسع يومن أو سبع يومن أو خمس يومن أو ثلاثة يومن أو آخر ليلة يعني التمسموا ليلة القدر" (وقال الترمذى: حسن صحيح). وفي المسند من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر: "إنها آخر ليلة".

## فصل

قال الشافعى فى هذه الروايات: صدرت من النبي صلى الله عليه وسلم جواباً للسائل إذا قيل له: أنتمس ليلة القدر فى الليلة الفلاحية؟ يقول: "نعم"، وإنما ليلة القدر ليلة معينة لا تنتقل، وروى عن أبي قلابة أنه قال: ليلة القدر تنتقل فى العشر الأولى؛ وهذا الذى حكاه عن أبي قلابة هو الأشبه، والله أعلم. وقد يستأنس لهذا القول بما ثبت فى الصحيحين عن عبد الله بن عمر أن رجالاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أروا ليلة القدر فى المنام فى السبع الأخيرة من رمضان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أرى رؤياكم قد تواترت فى السبع الأخيرة، فمن كان متربها ، فليتحررها فى السبع الأولى ، وفيهما أيضاً عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "تحروا ليلة القدر فى الوتر من العشر الأخيرة من رمضان" (واللفظ للبخارى). ويحتاج الشافعى أنها لا تنتقل وأنها معينة من الشهر بما رواه البخارى فى صحيحه عن عبادة بن الصامت قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبرنا بليلة القدر، فتلاهى رجلان من المسلمين فقال: "خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاهى فلان وفلان فرفعت، وعسى أن يكون خيراً لكم فالتمسموها فى الناسعة والسادسة والخامسة" ، وجه الدلالة منه أنها لو لم تكن معينة مستمرة التعين لما حصل لهم العلم بعينها فى كل سنة، إذ لو كانت تنتقل لما علموا تعينها إلا ذلك العام فقط، اللهم إلا أن يقال إنه إنما خرج ليعلمهم بها تلك السنة فقط، قوله: "فتلاهى فلان وفلان فرفعت" فيه استثناس لما يقال: إن المماراة تقطع الفائدة والعلم النافع، كما جاء فى الحديث: "إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه" وقوله: "رفعت" أي رفع علم تعينها لكم، لا أنها رفعت بالكلية من الوجود، كما يقوله جهله الشيعة، لأنه قد قال بعد هذا: "فالتمسموها فى الناسعة والسادسة والخامسة" ، قوله: "وعسى أن يكون خيراً لكم" يعني عدم تعينها لكم فإنها إذا كانت مبهمة اجتهد طلبها فى ابتعانها فى جميع محل رجائها، فكان أكثر للعبادة بخلاف ما إذا علموا عينها، فإنها كانت الهم تتقاصر على قيمها فقط، وإنما اقتضت الحكمة إيهامها لتفع العبادة جميع الشهر فى ابتعانها، ويكون الاجتهد فى العشر الأخير أكثر، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأخيرة من رمضان حتى توفاه الله عزَّ وجلَّ، ثم اعتكف أزواجه بعده، عن ابن عمر: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأخيرة من رمضان (آخر جاه فى الصحيحين)، وقالت عائشة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله، وشد المئزر، ولمسلم عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد فى العشر ما لا يجتهد فى غيره، وهذا معنى قولها وشد المئزر، وقيل: المراد بذلك اعتزال النساء، ويعتذر أن يكون كنایة عن الأمرين لما رواه الإمام أحمد، عن عائشة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بقي عشر من رمضان شد مئزره، واعتزل نساءه، وقد حكى عن مالك رحمة الله أن جميع ليالي العشر فى تطلب ليلة القدر على السواء، لا يتراجع منها ليلة على أخرى، والمستحب الإكثار من الدعاء فى جميع الأوقات وفي شهر رمضان أكثر، وفي العشر الأخير منه، ثم في أوتاره أكثر، والمستحب أن يكثر من هذا الدعاء: اللهم

إنك عفو تحب العفو فاعف عنِي، لما رواه الإمام أحمد عن عبد الله ابن بريدة أن عائشة قالت: يا رسول الله: إن وافقت ليلة القدر بما أدعوه؟ قال: "قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنِي" (وأخرجه الترمذى والنمسائى وأبن ماجة).

## 98 - سورة البينة.

[مقدمة]

عن أنس بن مالك قال؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بن كعب: "إن الله أمرني أن أقرأ عليك: {لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب} قال: وسماني لك؟ قال: "نعم"، فبكى (رواه البخاري ومسلم والترمذى والنمسائى).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّىٰ تَأْتِيهِمُ الْبَيِّنَاتُ {1} رَسُولٌ مِّنْ أَنَّهُ يَتَلَوُ صُحْفًا مُّطَهَّرًا {2} فِيهَا كُتُبٌ قِيمَةٌ {3} وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ {4} وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ {5}

أما أهل الكتاب فهم اليهود والنصارى، والمشركون عبادة الأوثان والنثيران من العرب ومن العجم، قال مجاهد: لم يكونوا {منافقين} يعني منتهين حتى يتبعن لهم الحق {حتى تأتيهم البينة} أي هذا القرآن، ولهذا قال تعالى: {لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركون منافقين حتى تأتيهم البينة} ثم فسر البينة بقوله: [رسول من الله يتلو صحفاً مطهراً] يعني محمداً صلى الله عليه وسلم وما يتلوه من القرآن العظيم الذي هو مكتوب في الملا الأعلى في صحف مطهرة، ك قوله تعالى: {في صحف مكرمة \* مرفوعة مطهرة \* بأيدي سفرة \* كرام بررة}، وقوله تعالى: {فيها كتب قيمة} قال ابن جرير: أي في الصحف المطهرة كتب من الله قيمة عادلة مستقيمة، ليس فيها خطأ لأنها من عند الله عز وجل، وقال قتادة [رسول من الله يتلو صحفاً مطهراً] يذكر القرآن بأحسن الذكر، ويثنى عليه بأحسن الثناء، وقال ابن زيد: {فيها كتب قيمة} مستقيمة معتدلة، وقوله تعالى: {وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة} قوله تعالى: {ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم}، يعني بذلك أهل الكتب المنزلة على الأمم قبلنا، بعد ما أقام الله عليهم الحجج والبينات تفرقوا، واختلفوا في الذي أراده الله من كتبهم، واختلفوا اختلافاً كبيراً، كما جاء في الحديث المروي من طرق: "إن اليهود اختلفوا على إحدى وسبعين فرقة، وإن النصارى اختلفوا على اثنين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلات وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة"، قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: "ما أنا عليه وأصحابي"

وقوله تعالى: {وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين} قوله: {وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون}، ولهذا قال: {حنفاء} أي متحففين من الشرك

إلى التوحيد، كقوله: {ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت}، وقد تقدم تقرير الحنيف في سورة الأنعام بما أغني عن إعادته هنا، {ويقيموا الصلاة} وهي أشرف عبادات البدن، {وبيتوا الزكاة} وهي الإحسان إلى القراء والمحاويخ {ونذل دين القيمة} أي الملة القائمة العادلة، أو الأمة المستقيمة المعتدلة.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شُرُّ الْبَرِّيَّةِ  
 {6} إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّيَّةِ {7} جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ  
 عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَسِيَ  
 رَبَّهُ {8}

يخبر تعالى عن مآل الفجار من كفرة أهل الكتاب والشركين، المخالفين لكتاب الله المنزلة وأنبياء الله المرسلة، أنهم يوم القيمة في نار جهنم [خالدين فيها] أي ماكثين فيها لا يحولون عنها ولا يزولون، {أولئك هم شر البرية} أي شر الخليقة التي برأها الله وذرأها ، ثم أخبر تعالى عن حال الأبرار الذين آمنوا بقولهم وعملوا الصالحات بأبدانهم بأنهم خير البرية، وقد استدل بهذه الآية أبو هريرة وطائفة من العلماء على تفضيل المؤمنين من البرية على الملائكة لقوله: {أولئك هم خير البرية}، ثم قال تعالى: {جزاؤهم عند ربهم} أي يوم القيمة {جنات} عند تجري من تحتها الأنهر خالدين فيها أبداً} أي بلا انفصال ولا انقضاء ولا فراغ {رضي الله عنهم ورضوا عنه} ومقام رضاه عنهم أعلى مما أوتوه من التعيم القيم {ورضوا عنه} فيما منهم من الفضل العظيم، و قوله تعالى: {ذلك لمن خشي ربه} أي هذا الجزاء حاصل لمن خشي الله وانتقام حق تقواه، وعده كأنه يراه، عن أبي هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا أخبركم بخير البرية؟" قالوا: بلى يا رسول الله، قال: "رجل أخذ بعنان فرسه في سبيل الله كلما كانت هيبة استوى عليه، ألا أخبركم بخير البرية؟" قالوا: بلى يا رسول الله، قال: "رجل في ثلاثة من غنميه يقيم الصلاة ويؤتي الزكوة، ألا أخبركم بخير البرية؟" قالوا: بلى، قال: "الذي يسأل بالله ولا يعطي به" (أخرجه الإمام أحمد).

## 99 - سورة الزلزلة.

[مقدمة]

روى الترمذى عن أنس قال، قال رسول الله عليه وسلم: "من قرأ إذا زلزلت عدلت له بنصف القرآن" (أخرجه الترمذى، وقال: حسن غريب). وعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من أصحابه: "هلتزوجت يا فلان؟" قال: لا والله يا رسول الله، ولا عندي ما أتزوج، قال: "أليس معك قل هو الله أحد؟" قال: بلى، قال: "ثلث القرآن" قال: "أليس معك إذا جاء نصر الله والفتح؟" قال: بلى، قال: "رابع القرآن" قال: "أليس معك قل يا أيها الكافرون؟" قال: بلى، قال: "رابع القرآن" قال: "أليس معك إذا زلزلت الأرض؟" قال: بلى، قال: "رابع القرآن، تزوج" (أخرجه الترمذى أيضاً، وقال: حديث حسن).

إِذَا زُلْزَلَتِ الْأَرْضُ زُلْزَالَهَا {1} وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا {2} وَقَالَ إِنْسَانٌ مَا لَهَا {3} يَوْمَئِذٍ  
تُحَدَّثُ أَخْبَارَهَا {4} بَأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا {5} يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَانًا لَيُرَوُا أَعْمَالَهُمْ {6}  
فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ {7} وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ {8}

قال ابن عباس [إذا زلزلت الأرض زلزالها]: أي تحركت من أسفلها [وأخرجت الأرض أثقالها] يعني ألقى ما فيها من الموتى، كقوله تعالى: [إن زلزلة الساعة شيء عظيم]، وك قوله: [وألقى ما فيها وتخلت]، وفي الحديث: "تلقي الأرض أفالذ كبدها أمثل الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول في هذا قتلت، ويجيء القاطع فيقول في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول في هذا قطعت يدي، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً" (آخر جه مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً)، قوله عز وجل: [وقال الإنسان مالهم] أي استكر أمرها بعدما كانت قارة ساكنة ثابتة، وهو مستقر على ظهرها أي تقلب الحال، فصارت متعركة مضطربة، قد جاءها من أمر الله ما قد أعد لها، من الزلزال الذي لا محيي عنه، ثم ألقى ما في بطنها من الأموات من الأولين والآخرين، وحينئذ استكر الناس أمرها، وتبدل الأرض غير الأرض والسماءات، وبرزوا لله الواحد القهار، قوله تعالى: [يَوْمَئِذٍ تُحَدَّثُ أَخْبَارَهَا] أي تحدث بما عمل العاملون على ظهرها، عن أبي هريرة قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: [يَوْمَئِذٍ تُحَدَّثُ أَخْبَارَهَا] قال: "أتدركون ما أخبارها؟" قالوا: الله رسوله أعلم، قال: "فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشَهَّدُ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ وَمَأْمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا، أَنْ تَقُولَ: عَمِلَ كَذَا وَكَذَا، فَهَذِهِ أَخْبَارُهَا" (آخر جه أحمد والترمذى والنمسائى).

وقوله تعالى: [بَأَنْ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا] قال البخاري: أوحى لها، وأوحى إليها، ووحي لها، وكذلك قال ابن عباس [أوحى لها] أي أوحى إليها، والظاهر أن هذا مضمون بمعنى أذن لها، وقال ابن عباس: [يَوْمَئِذٍ تُحَدَّثُ أَخْبَارَهَا] قال، قال لها ربها قولي، فقالت؛ قال مجاهد [أوحى لها] أي أمرها، وقال القرظي: أمرها أن تتشق عنهم، قوله تعالى: [يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَانًا] أي يرجعون عن موقف الحساب [أشتاناً] أي أنواعاً وأصنافاً ما بين شقي وسعيد، مأمور به إلى الجنة ومأمور به إلى النار، قال ابن جرير: يتصدرون أشتاناً فلا يجتمعون آخرما عليهم، وقال السدي [أشتاناً] فرقاً.

وقوله تعالى: [لَيُرَوُا أَعْمَالَهُمْ] أي ليجازوا بما عملوه في الدنيا من خير وشر، وللهذا قال: [فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ]. روى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الخيل لثلاثة: لرجل أجر، ولرجل سترا، وعلى رجل وزر" الحديث. فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحمر؟ فقال: "ما أنزل الله فيها شيئاً إلا هذه الآية الفادة الجامعة: [فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ]" (آخر جه الشیخان واللفظ للبخاري). وروى الإمام أحمد عن صعصعة بن معاوية عم الفرزدق أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه: [فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ] قال: حسبي أن لا أسمع غيرها (آخر جه أحمد

والنسائي)، وفي صحيح البخاري عن عدي مرفوعاً: "اتقوا النار ولو بشق تمرة ولو بكلمة طيبة"، وله أيضاً في الصحيح: "لا تحرقن من المعروف شيئاً ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستنقى، ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط" (أخرجه البخاري). وفي الصحيح أيضاً: "يا معاشر نساء المؤمنات لا تحرقن جارة لجارتها ولو فرسن شاة" (أخرجه البخاري أيضاً) يعني ظلفها، وفي الحديث الآخر: "ردوا السائل ولو بظلف محرق".

وعن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يا عائشة استترِي من النار ولو بشق تمرة فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان" (أخرجه أحمد). وروى عن عائشة أنها تصدق بعنابة وقالت: كم فيها من مقابل ذرة، وروى ابن حجر عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: لما نزلت: {إِذَا زَلَّتِ الْأَرْضُ زَلَّتِ الْهَا} وأبو بكر الصديق رضي الله عنه قاعد، فبكى حين أنزلت، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما يبكيك يا أبا بكر؟" قال: يبكيني هذه السورة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لولا أنكم تخطئون وتذنبون فيغفر الله لكم لخلق الله أمة يخطئون ويذنبون فيغفر لهم".

وروى ابن أبي حاتم، عن سعيد ابن جبير في قول الله تعالى: {فَمَنْ يَعْمَلْ مُثْقَلَ ذَرَةً خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مُثْقَلَ ذَرَةً شَرًّا يَرَهُ} وذلك لما نزلت هذه الآية: {وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسْيَرًا} كان المسلمين يرون أنهم لا يؤجرون على الشيء القليل إذا أعطوه، فيجيء المسكين إلى أبوابهم، فيستقلون أن يعطوه التمرة والكسرة والجوزة ونحو ذلك فيردونه ويقولون: ما هذا بشيء إنما تؤجر على ما نعطي ونحن نحبه، وكان آخرون يرون أنهم لا يلامون على الذنب البسيير: الكذبة والنظرة والغيبة وأشيه ذلك، يقولون: إنما وعد الله النار على الكبائر، فرغبهم في القليل من الخير أن يعلموه فإنه يوشك أن يكثُر، وحذرهم البسيير من الشر، فإنه يوشك أن يكثُر، فنزلت {فَمَنْ يَعْمَلْ مُثْقَلَ ذَرَةً} يعني وزن أصغر النمل {خَيْرًا يَرَهُ} يعني في كتابه ويسره ذلك قال: يكتب لكل بر وفاجر بكل سيئة واحدة وبكل حسنة عشر حسناً، فإذا كان يوم القيمة ضاعف الله حسناً المؤمنين أيضاً بكل واحدة عشرة ويمحو عنه بكل حسنة عشر سيئات فمن زادت حسنته على سيئاته مقابل ذرة دخل الجنة.

وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه" وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب لهن مثلاً كمثل قوم نزلوا أرض فلاة، فحضر صنيع القوم، فجعل الرجل ينطلق فجيء بالعود والرجل يجيء بالعود، حتى جمعوا سواداً، وأججوا ناراً، وأنضجوا ما قدروا فيها.

## 100 - سورة العاديات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

وَالْعَادِيَاتِ ضَبَّحًا {1} فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا {2} فَالْمُعِيَّاتِ صُبَّحًا {3} فَاثْرَنْ بِهِ نَقْعًا {4} فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا {5} إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَوُدٌ {6} وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ {7} وَإِنَّهُ لَحُبٌّ

**الْخَيْرُ لَشَدِيدٌ {8} أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بَعْثَرَ مَا فِي الْقُبُوْرِ {9} وَحَصَّلَ مَا فِي الصُّدُورِ {10} إِنَّ رَبَّهُمْ  
بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَيْرٌ {11}**

يقسم تعالى بالخيل إذا أجريت في سبيله، فعدت وضاحت ، وهو الصوت الذي يسمع من الفرس حين تundo، [فالموريات قدح] يعني اصطاكاً ناعلاها للصخر، فتقديح منه النار، [فالغميرات صباحاً] يعني الإغارة وقت الصبح كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغير صباحاً ويستمع الآذان ، فإن سمع آذاناً وإلا أغار، قوله تعالى: [فأثرن به نقعماً] يعني غباراً في مكان معركة الخيول، [فوسطن به جمعاً] أي توسيط ذلك المكان كلهم جمع، روى ابن أبي حاتم، عن ابن عباس قال: بينما أنا في الحجر جالساً جاءني رجل فسألني عن: [العاديات صباحاً] قلت له: الخيل حيث تغير في سبيل الله، ثم تأوي إلى الليل فيصنعون طعامهم، ويورون نارهم، فانفتح عنى، فذهب إلى علي رضي الله عنه وهو عند سقاية زمم، فسأله عن العادييات صباحاً، فقال: سألت عنها أحداً قبلـ؟ قال: نعم سألت ابن عباس، فقال: الخيل حين تغير في سبيل الله، قال: اذهب فادعه لي، فلما وقف على رأسه، قال: أنتي الناس بما لا علم لك؟ والله لئن كان أول غزوة في الإسلام بدر، وما كان معنا إلا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد ، فكيف تكون العادييات صباحاً؟ إنما العادييات صباحاً من عرفة إلى المزدلفة ومن المزدلفة إلى مني ، وفي لفظ: "إنما العادييات صباحاً من عرفة إلى المزدلفة، فإذا أتوا إلى المزدلفة أوروا النيران" (أخرجه ابن أبي حاتم)، فذهب ابن عباس أنها الخيل (إلى قول ابن عباس ذهب جمهور المفسرين، منهم مجاهد وعكرمة وعطاء وقادة وختاره ابن جرير)، وقال (علي) إنها الإبل. قال عطاء: ما صحيحت دابة قط إلا فرس أو كلب، وقال عطاء: سمعت ابن عباس يصف الضبـ: أح أحـ، وقال أكثر هؤلاء في قوله: [فالموريات قدح] يعني بحوالـها، وقيل: أسرعت الحرب بين ركبانـ، وقيل: هو إيقـاد النار إذا رجعوا إلى منازلـهم من الليل ، وقيل: المراد بذلك نيران القبائلـ، قال ابن جرير: والصواب الأول: الخيل حين تـقـدـح بحوالـها.

وقوله تعالى: [فالغميرات صباحاً] قال ابن عباس ومجاهـ: يعني إغارة الخيل صباحاً في سبيل الله ، وقال: من فسرـها بالإبلـ هو الدفع صباحـاً من المزدلفة إلى منـي ، وقالـوا كـلمـهم في قوله: [فأثـرنـ بهـ نـقـعاً] هو المـكانـ الذيـ حلـتـ فيهـ أـثـارـتـ بهـ الغـارـ إـماـ فيـ حـجـ أوـ غـزوـ، وقولـهـ تـعـالـيـ: [فـوـسـطـنـ بـهـ جـمـعاً] قالـ ابنـ عـباسـ وـعطـاءـ: يعنيـ جـمـعـ الكـفـارـ منـ العـدـوـ، وـيـحـتمـلـ أنـ يـكـونـ فـوـسـطـنـ بـذـلـكـ المـكـانـ جـمـيعـاًـ وـيـكـونـ منـصـوبـاًـ عـلـىـ الـحـالـ الـمـؤـكـدةـ، وـقـوـلـهـ تـعـالـيـ: {إـنـ إـنـسـانـ لـرـبـهـ لـكـنـودـ}ـ هـذـاـ هـوـ الـمـقـسـمـ عـلـيـهـ، بـمـعـنىـ أـنـ لـنـعـمـ رـبـهـ لـكـفـورـ جـحـودـ، قالـ ابنـ عـباسـ وـمجـاهــ: الـكـنـودـ الـكـفـورـ. قالـ الحـسـنـ: الـكـنـودـ هـوـ الـذـيـ يـعـدـ الـمـصـابـ وـيـنـسـيـ نـعـمـ اللهـ عـلـيـهـ، وـقـوـلـهـ تـعـالـيـ: {وـإـنـهـ عـلـىـ ذـلـكـ لـشـهـيدـ}ـ قـالـ قـاتـادـ وـالـثـورـيـ: وـإـنـ اللهـ عـلـىـ ذـلـكـ لـشـهـيدـ، وـيـحـتمـلـ أنـ يـعـودـ الـضـمـيرـ عـلـىـ إـنـسـانـ فـيـكـونـ تـقـدـيرـهـ: وـإـنـ إـنـسـانـ عـلـىـ كـونـهـ كـنـودـاًـ لـشـهـيدـ، أـيـ بـلـسانـ حـالـهـ، أـيـ ظـاهـرـ ذـلـكـ عـلـيـهـ فـيـ أـقـوالـهـ وـأـفـعـالـهـ كـمـاـ قـالـ تـعـالـيـ: {شـاهـدـينـ عـلـىـ أـنـفـسـهـمـ بـالـكـفـرـ}ـ وـقـوـلـهـ تـعـالـيـ: {وـإـنـهـ لـحـبـ الـخـيـرـ لـشـدـيـدـ}ـ أـيـ وـإـنـهـ لـحـبـ الـخـيـرـ وـهـوـ الـمـالـ لـشـدـيـدـ}ـ، وـفـيـهـ مـذـهـبـانـ: (أـحـدهـاـ): أـنـ الـمـعـنـىـ وـإـنـهـ لـشـدـيـدـ الـمـحـبـةـ لـلـمـالـ، (وـالـثـانـيـ): وـإـنـهـ لـحـرـيـصـ بـخـيـلـ مـنـ مـحـبـةـ الـمـالـ، وـكـلـاـهـماـ صـحـيـحـ، ثـمـ قـالـ تـبـارـكـ وـتـعـالـيـ مـزـهـداًـ فـيـ الـذـيـ، وـمـرـغـبـاًـ فـيـ الـآخـرـةـ، وـمـنـهـاـ عـلـىـ مـاـ هـوـ كـائـنـ بـعـدـ هـذـهـ الـحـالـ، وـمـاـ يـسـتـقـبـلـهـ إـنـسـانـ مـنـ الـأـهـوـاـوـاـ {أـفـلاـ يـعـلـمـ إـذـاـ بـعـثـرـ مـاـ}

القبور؟} أي أخرج ما فيها من الأموات، {وَحَصَّلَ مَا فِي الصُّدُورِ} يعني أبرز وأظهر ما كانوا يسرون في نفوسهم، {إِنْ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمًا ذَلِيلًا} أي لعالم جميع ما كانوا يصنعون، ومجازاً لهم عليه أوفر الجزاء، ولا يظلم مثقال ذرة.

## 101 - سورة القارعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ {1} مَا الْقَارِعَةُ {2} وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ {3} يَوْمٌ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشُ الْمَبْثُوتُ {4} وَتَكُونُ الْجَبَلُ كَالْعَهْنُ الْمَنْفُوشُ {5} فَمَمَا مَنْ تَقْلَتْ مَوَازِينُهُ {6} فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ {7} وَمَمَا مَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ {8} فَمَمُّهُ هَاوِيَةٌ {9} وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةُ {10} نَارٌ حَامِيَةٌ {11}

القارعة من أسماء يوم القيمة، كالحافة والطامة والصاخة والغاشية وغير ذلك. ثم قال تعالى معظمًا أمرها ومهولاً لشأنها {وما أدرك ما القارعة؟} ثم فسر ذلك بقوله: {يوم يكون الناس كالفراش المبثوث} أي في انتشارهم وتفرقهم وذهباتهم ومجيئهم، من حرتهم مما هم فيه لأنهم فراش مبثوث، كما قال تعالى: {كانهم جراد منتشر}، وقوله تعالى: {وتكون الجبال كالعهن المنفوش} يعني صارت كأنها الصوف المنفوش الذي قد شرع في الذهاب والمترقب، قال مجاهد: {العهن} الصوف، ثم أخبر تعالى عما يؤول إليه عمل العاملين، وما يصيرون إليه من الكرامة والاهانة بحسب أعمالهم، فقال: {فاما من تقلت موازينه} أي رجحت حسناته على سيئاته ، { فهو في عيشة راضية} يعني في الجنة، {واما من خفت موازينه} أي رجحت سيئاته على حسناته، {فاما هاوية} قيل: معناه فهو ساقط هاو بأمر رأسه في نار جهنم، وعبر عنه بأمه يعني (دماغه)، قال قنادة: يهوي في النار على رأسه، وقيل: معناه فأمه التي يرجع إليها وبصير في المعاد إليها {هاوية} وهي اسم من أسماء النار، قال ابن جرير: وإنما قيل للهاوية أمه لأنها لا مأوى له غيرها، وقال ابن زيد: الهاوية النار هي أمه ومأواه التي يرجع إليها ويأوي إليها، وقرأ: {ومأواه النار}. وروي عن قنادة أنه قال: هي النار وهي مأواه، ولهذا قال تعالى مفسرًا للهاوية: {وما أدرك ما هي} \* نار حامية، روى ابن جرير عن الأشعث بن عبد الله الأعمى قال: إذا مات المؤمن ذهب بروحه إلى أرواح المؤمنين، فيقولون: روحوا أخاكم، فإنه كان في غم الدنيا، قال: ويسألونه ما فعل فلان؟ فيقول: مات أو ما جاءكم؟ فيقولون: ذهب به إلى أمه الهاوية، وقوله تعالى: {نار حامية} أي حارة شديدة الحر، قوية اللهب والسعير، عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "نار يبني آدم التي توقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم"، قالوا: يا رسول الله إن كانت لكافية؟ فقال: "إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً" (آخره مالك ورواه البخاري ومسلم بنحوه). وفي رواية: "كلهن مثل حرها". وروى الإمام أحمد، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، وضررت بالبحر مرتين، ولو لا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد" ، وثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "اشتكى النار إلى ربها فقالت: يا رب أكل بعضي بعضًا فإذا ذلت لها بنفسين نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون في الشتاء من بردها، وأشد ما تجدون في

الصيف من حرها" . وفي الصحيحين: "إذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم".

## 102 - سورة التكاثر.

بسم الله الرحمن الرحيم.

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ {1} حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ {2} كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ {3} ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ {4} كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ {5} لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ {6} ثُمَّ لَتَرَوُهَا عَيْنَ الْيَقِينِ {7} ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَ ذِي النَّعِيمِ {8}

يقول تعالى: أشغلكم حب الدنيا ونعمتها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها، وتمادي بكم ذلك حتى جاءكم الموت ووزرتهم المقابر، وصرتم من أهلها، وقال الحسن البصري: {اللهákum التكاثر} في الأموال والأولاد، وعن أبي بن كعب قال: كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت: {اللهákum التكاثر} يعني: "لو كان لابن آدم واد من ذهب" (رواه البخاري في الرقاقي)، وعن عبد الله بن الشخير قال: انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: "اللهákum التكاثر" يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنت، أو لبست فأبللت، أو تصدقت فامضي؟" (أخرجه أحمد ومسلم والترمذى والنمسائى). وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقول العبد: مالي مالي، وإنما له من ماله ثلاثة: ما أكل فأفني، أو لبس فأبلل، أو تصدق فامضي، وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس" (تفرد به مسلم). وعن أنس بن مالك قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد: يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله" (أخرجه البخاري ومسلم والترمذى). وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يهرم ابن آدم ويبيقى معه اثنان: الحرص والأمل" (أخرجاه في الصحيحين). وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة الأحنف بن قيس أنه رأى في يد رجل درهماً فقال: لمن هذا الدرهم؟ فقال الرجل: لي، فقال: إنما هو لك إذا أنفقته في أجر، أو ابتغا شكر، ثم أنسد الأحنف متمنلاً قول الشاعر:

أنت للمال إذا أمسكته \* فإذا أنفقته فالمال لك

وقال ابن بريدة: نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار (بني حارثة) و (بني الحارث) تفاخروا وتكاثروا، فقالت إحداهما: فيكم مثل فلان بن فلان وفلان، وقال الآخرون: مثل ذلك تفاخروا بالأحياء، ثم قالوا: انطلقوا بنا إلى القبور فجعلت إحدى الطائفتين، تقول: فيكم مثل فلان يشيرون إلى القبور، ومثل فلان. فعل الآخرون مثل ذلك، فأنزل الله: {اللهákum التكاثر حتى زرتم المقابر} (أخرجه ابن أبي حاتم) لقد كان لكم فيما رأيتم عبرة وشغل، وقال قنادة: كانوا يقولون: نحن أكثر من بني فلان، ونحن أعد من بني فلان، حتى صاروا من أهل القبور كلهم، وال الصحيح أن المراد بقوله: {زرتم المقابر} أي صرتم إليها ودفنتم فيها، كما جاء في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على رجل من الأعراب يعوده، فقال: "لا بأس طهور إن شاء الله"، فقال، قلت: طهور، بل هي حمى تقوير، على شيخ كبير، تزيره القبور، قال: "فنعم إذن". وعن ميمون بن مهران قال: كنت جالساً عند عمر بن عبد العزيز فقرأ: {اللهákum التكاثر \*} حتى زرتم المقابر} فلبت هنيهة ثم قال: يا ميمون ما أرى المقابر إلا

زيارة وما للزائر بد من أن يرجع إلى منزله، يعني أن يرجع إلى منزله أي إلى جنة أو إلى نار، وهكذا ذكر أن بعض الأعراب سمع رجلاً يتلو هذه الآية: {حتى زرتم المقابر} فقال: بعث اليوم رب الكعبة، أي أن الزائر سيرحل من مقامه ذلك إلى غيره، قوله تعالى: {كلا سوف تعلمون \* ثم كلا سوف تعلمون} قال الحسن البصري هذا وعيد بعد وعيد، وقال الضحاك {كلا سوف تعلمون} يعني أيها الكفار، {ثم كلا سوف تعلمون} يعني أيها المؤمنون.

وقوله تعالى: {كلا لو تعلمون علم اليقين} أي لو علمتم حق العلم لما ألهاك التكاثر عن طلب الدار الآخرة حتى صرتم إلى المقابر ثم قال: {لترون الجحيم \* ثم لترونها عين اليقين} هذا تفسير الوعيد المتقدم، وهو قوله: {كلا سوف تعلمون \* ثم كلا سوف تعلمون} توعدهم بهذا الحال وهو رؤية أهل النار، التي إذا زفرت زفراً واحدة، خرّ كل ملأ مقرب ونبي مرسل على ركبتيه، من المهابة والعظمة ومعاناة الأحوال، على ما جاء به الآخر المروي في ذلك.

وقوله تعالى: {ثم لتسألن يومئذ عن النعيم} أي ثم لتسألن يومئذ عن شكر ما أنعم الله به عليكم، من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك، ما إذا قابلتم به نعمه من شكره وعبادته. روى ابن جرير، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما أبو بكر وعمر جالسان إذ جاءهما النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "ما أجلسكم هنا؟"، قالا: والذي بعثك بالحق ما أخرجنا من بيوتنا إلا الجوع، قال: "والذي بعثني بالحق ما أخرجني غيره"، فانطلقوا حتى أتوا بيت رجل من الأنصار، فاستقبلتهم المرأة، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: "أين فلان؟" فقالت: ذهب يستعبد لنا ماء، فجاء صاحبهم يحمل قربته، فقال: مرحباً ما زار العباد شيء أفضل من النبي زارني اليوم، فلعل قربته يكرب نخلة، وانطلق فجاءهم بعذق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "الآن كنت اجتنبت"، فقال: أحببت أن تكونوا الذين اختارون على أعينكم، ثم أخذ الشفرة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "إياك والحلوب" فذبح لهم يومئذ، فأكلوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لتسألن عن هذا يوم القيمة آخر حكم الجوع، فلم ترجعوا حتى أصبتم هذا، وهذا من النعيم" (آخرجه ابن جرير ورواوه مسلم وأصحاب السنن الأربع بنحوه). وعن جابر بن عبد الله قال: أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رطباً وشربوا ماء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هذا من النعيم الذي تسألون عنه" (آخرجه أحمد والنسائي). وروى الإمام أحمد عن محمد بن الربيع قال: لما نزلت {الله أكمل} فقرأ حتى بلغ {لتسألن يومئذ عن النعيم} قالوا: يا رسول الله عن أي نعيم نسأل؟ وإنما هما الأسودان الماء والتمر، وسيوفنا على رقبنا، والعدو حاضر، فعن أي نعيم نسأل؟ قال: "أما إن ذلك سيكون".

وروى الترمذى، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن أول ما يسأل عنه العبد من النعيم، أن يقال له ألم نصح لك بذلك، ونررك من الماء البارد؟" (آخرجه الترمذى وابن حبان) وروى ابن أبي حاتم، عن عبد الله بن الزبير قال، قال الزبير: لما نزلت {ثم لتسألن يومئذ عن النعيم} قالوا: يا رسول الله لأي نعيم نسأل عنه وإنما هما الأسودان التمر والماء؟ قالوا: "إن ذلك سيكون" (ورواه الترمذى وابن ماجة). وفي رواية عن عكرمة: قالت الصحابة: يا رسول الله، وأي نعيم نحن فيه؟ وإنما نأكل في أنساف بطوننا خبز الشعير؟ فأوحى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم: قل لهم: أليس تحذلون النعال،

وتشربون الماء البارد؟ فهذا من النعيم. وعن ابن مسعود مرفوعاً: "الأمن والصحة". وقال زيد بن أسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: {ثم لتسألن يومئذ عن النعيم} يعني شبع البطون، وبارد الشراب، وظلال المساكن، واعتدال الخلق ولذة النوم، وقال مجاهد: عن كل لذة من لذات الدنيا، وقال الحسن البصري: من النعيم الغداء والعشاء، وقول مجاهد أشمل هذه الأقوال، وقال ابن عباس: {ثم لتسألن يومئذ عن النعيم} قال: النعيم صحة الأبدان والأسماع والأبصار، يسأل الله العباد فيما استعملوها، وهو أعلم بذلك منهم، وهو قوله تعالى: {إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً}. وثبت في صحيح البخاري وسنن الترمذى عن ابن عباس قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ" ، ومعنى هذا أنهم مقصرون في شكر هاتين النعمتين لا يقumen بواجبهما، ومن لا يقوم بحق ما وجب عليه فهو مغبون.

### 103 - سورة العصر.

ذكر الطبراني عن عبد الله بن حصن قال: كان الرجلان من أصحاب رسول الله إذا التقى لم يفترقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر إلى آخرها، ثم يسلم أحدهما على الآخر. وقال الشافعى رحمه الله: لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم.

بسم الله الرحمن الرحيم.

**والعَصْرِ {1} إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ {2} إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ  
وَتَوَاصَوْا بِالصَّيْرِ {3}**

العصر: الزمان الذي يقع فيه حركاتبني آدم من خير وشر، وقال زيد بن أسلم: هو العشى ، والمشهور الأول، فأقسم تعالى بذلك على أن الإنسان لفي خسر أي في خسارة وهلاك {إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات} فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسارة، الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارهم {وتواصوا بالحق} وهو أداء الطاعات، وترك المحرمات، {وتواصوا بالصبر} أي على المصائب والأقدار، واذى من يؤذى، فمن يأمرنه بالمعروف وينهونه عن المنكر.

### 104 - سورة الهمزة.

بسم الله الرحمن الرحيم.

**وَيَلْ لَكُلْ هُمَةَ لُمَزَةَ {1} الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَدَةَ {2} يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ {3} كَلَّا  
لَيَنْبَذَنَ فِي الْحُطْمَةَ {4} وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةَ {5} نَارُ اللَّهِ الْمُوْقَدَةَ {6} الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى  
الْأُفْيَدَةَ {7} إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤْصَدَةَ {8} فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةَ {9}**

الهمز بالقول، واللماز بالفعل، يعني يزدري الناس وينقص بهم، قال ابن عباس: {همزة لمزة} طعن معياب ، وقال الربيع بن أنس: الهمزة: يهمزه في وجهه، واللمزة: من خلفه، وقال قتادة: الهمزة واللمزة لسانه وعينه، ويأكل لحوم الناس ويطعن عليهم، وقال مجاهد: الهمزة باليد والعين، واللمزة باللسان؛ ثم قال بعضهم: المراد بذلك (الأخنس بن شريق)، وقال مجاهد: هي عامة، قوله تعالى: {الذى جمع مالاً وعدده} أي جمعه بعضاً على بعض وأحصى عدده كقوله تعالى: {وَجَمَعَ فَأُوْعِي} قال محمد بن كعب: أله ما له بالنهار، فإذا كان الليل نام كأنه حيفة منتنة، قوله تعالى: {يَحْسَبُ أَنْ مَالَهُ أَخْلَدَهُ} أي يظن أن جمعه المال يخلده في هذه الدار، {كَلَّا} أي ليس الأمر كما زعم ولا كما حسب، ثم قال تعالى: {لَيَنْبَذِنَ فِي الْحَطْمَةِ} أي ليلقين هذا الذي جمع مالاً فعدده {فِي الْحَطْمَةِ} وهي اسم من أسماء النار، لأنها تحطم من فيها، ولهذا قال: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَطْمَةُ؟ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدُ \* الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْنَدَةِ} قال ثابت البناي: تحرقهم إلى الأفندة وهم أحيا، وقال محمد بن كعب: تأكل كل شيء من جسده، حتى إذا بلغت حدو حلقه ترجع على جسده، قوله تعالى: {إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْسَدَةٌ} أي مطبقة كما تقدم تفسيره في سورة البلد، قوله تعالى: {فِي عَمَدٍ مَمْدُودَةٍ} أي عمد من حديد، وقال السدي: من نار، وقال ابن عباس: {فِي عَمَدٍ مَمْدُودَةٍ} يعني الأبواب هي الممددة، عنه: أدخلهم في عمد ممددة عليهم بعماد، في أعقاهم السلاسل، فسدت بها الأبواب (هذه رواية العوفي عن ابن عباس والأولى رواية عكرمة عنه)، وقال قتادة: كنا نحدث أنهم يعذبون بعمد في النار، واختاره ابن جرير، وقال أبو صالح: {فِي عَمَدٍ مَمْدُودَةٍ} يعني القيد الثقال.

## 105 - سورة الفيل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ {1} أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ {2} وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ {3} ثَرْمِيمِ بِحِجَارَةٍ مِّنْ سِجِّيلٍ {4} فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّا كُوِلٍ {5}

هذه من النعم التي امتن الله بها على قريش، فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل، الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود، فأبداهم الله، وأرغم أنافقهم ، وخيب سعيهم، وأضل عملهم، وردهم بشر خيبة وكانتوا قوم نصارى ، وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالا مما كان عليه قريش من عبادة الأوثان ، ولكن كان هذا من باب الإرهاص والتوطئة لمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم - فإنه في ذلك العام ولد على أشهر الأقوال ولسان الحال الفدر يقول : لم تنصركم يا معاشر قريش على الحبشة لخير يبتكم عليهم ، ولكن صيانة للبيت العتيق الذي سترفه ونعتزمه ونورقه ببعثة النبي الأمي محمد - صلوات الله وسلامه عليه - خاتم الأنبياء ، هذه قصة أصحاب الفيل على وجه الإيجاز والاختصار. يروى أن أبرهة الأشرم بنى كنيسة هائلة بصناعة، رفيعة البناء عالية الفناء مزخرفة بالأرجاء، سمنتها العرب (الفليس) لارتفاعها، لأن الناظر إليها تكاد تسقط قلنسوته عن رأسه من ارتفاع بنائتها، وعزز أبرهة على أن يصرف حج العرب إليها كما يحج إلى الكعبة بمكة، ونادي بذلك في مملكته، فكرهت العرب ذلك، وغضبت قريش، لذلك غضباً شديداً، حتى قصدها بعضهم وتوصل إلى أن دخلها، فأحدث فيها وكر راجعاً، فلما رأى السيدة ذلك الحدث رفعوا أمرهم إلى ملكهم

(أبرهه) وقالوا له: إنما صنع هذا بعض قريش غضباً لبيتهم الذي ضاهيت هذا به، فأقسم أبرهه ليسرين إلى بيت مكة وليخربنه حجراً حجراً، ذكر مقاتل أن فتية من قريش دخلوها، فأججوا فيها ناراً، وكان يوماً فيه هواء شديد فاحترقت، فتأهب أبرهه لذلك، وصار في جيش كثيف عمرم لثلا يصده أحد عنه، واستصحب معه فيلاً عظيماً كبير الجنة لم ير مثله، يقال له (محمود)، ويقال: كان معه اثنا عشر فيلاً غيره، فلما سمعت العرب بمسيره أعظموا ذلك جداً، ورأوا أن حقاً عليهم المحاجبة دون البيت، ورد من أراده بكيد، فخرج إليه رجل من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له (ذو نفر) فدعى قومه إلى حرب أبرهه وجهاده عن بيت الله، فأجابوه وقاتلوا أبرهه فهزمه، ثم مضى لوجهه حتى إذا كان بأرض خثعم اعترض له (نفيل بن حبيب) الخشعبي في قومه فقتلواه، فهزمهم أبرهه وأسر نفيل بن حبيب، فأراد قتله ثم عفا عنه، واستصحبه معه ليذهله في بلاد الحجاز، فلما اقترب من أرض الطائف خرج إليه أهلها ثقيف وصانعوه خيفة على بيتهم الذي يسمونه اللات، فأكرمهم وبعثوا معه (أبا رغال) دليلاً، فلما انتهى أبرهه إلى المغمس وهو قريب من مكة نزل به، وأغار جيشه على سرح (سرح: ماشية) أهل مكة من الإبل وغيرها، فأخذوه، وكان في السرح مائتاً بعير عبد المطلب، وبعث أبرهه حنطة الحميري إلى مكة، وأمره أن يأتيه باشرف قريش، وأن يخبره أن الملك لم يجيء لقتالكم إلا أن تصدوا عن البيت، ف جاء حنطة فدل على عبد المطلب بن هاشم وبلغه عن أبرهه ما قال، فقال له عبد المطلب: والله ما نريد حربه، وماتنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم، فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمه، وإن يخلني بيته وبينه، فوالله ما عندنا دفع عنه. فقال له حنطة: فاذهب معى إليك، فذهب معه، فلما رأه أبرهه أجله - وكان عبد المطلب رجلاً جسماً حسن المنظر - ونزل أبرهه عن سريره وجلس معه على البساط، وقال لترجمانه: قل له ما حاجتك؟ فقال للترجمان: إن حاجتي أن يرد عليَّ الملك مائتي بعير أصابها لي، فقال أبرهه لترجمانه: قل له: لقد كنت أعجبتني حين رأيتك، ثم قد زهدت فيك حين كلمتني، لأنكلمني في مائتي بعير أصابتها لك، وتترك بيتك هو دينك ودين آبائك، قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه؟ فقال له عبد المطلب: إني أنا رب الإبل، وإن للبيت رباً سيمنعه، قال: ما كان ليمنعه مني، قال: أنت وذاك، ويقال: إنه ذهب مع عبد المطلب جماعة من أشراف العرب، فعرضوا على أبرهه ثلث أموال تهامة على أن يرجع عن البيت، فأبى عليهم، ورد أبرهه على عبد المطلب إبله، ورجع عبد المطلب إلى قريش، فأمرهم بالخروج من مكة، والتخلص في رؤوس الجبال تخوفاً عليهم من معرة الجيش، ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون الله، ويستنصرون على أبرهه وجنته، فقال عبد المطلب وهوأخذ بحلقة باب الكعبة:

اللهم إن المرء يمنع رحله فامنعوا رحراك  
وانصر على آل الصليب \*  
وعابديه اليوم ألك \*  
لا يغلبن صليبيهم \*

ثم خرجو إلى رؤوس الجبال. وذكر مقاتل أنهم تركوا عند البيت مائة بذنة مقيدة، لعل بعض الجيش ينال منها شيئاً بغير حق فينتقم الله منهم، فلما أصبح أبرهه تهيأ لدخول مكة وهيا جيشه، فلما وجهوا الفيل نحو مكة، برر الفيل، وخرج (نفيل بن حبيب) يشتند حتى صعد في الجبل، وضرروا الفيل ليقوم، فأبى، فضرروا في رأسه بالطبرزيين (الطبرزيين: الله معقة من حديد) وأدخلوا محاجن لهم في مراقه (مراقه: أسفل بطنه)، فبزغوه (بزغوه: أدموه) بها ليقوم ، فأبى، فوجهوه راجعاً إلى اليمن، فقام يهرول، ووجهوه إلى الشام، ففعل مثل ذلك،

ووجهوه إلى المشرق، ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة فيرك، وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان : الخطاطيف جمع خطاف وهو طائر أسود وهو الذي تدعوه العامة عصفور الجنة والبلسان : (كذا) مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها: حجر في منقاره وحجران في رجليه أمثال الحمص والعدس، لا يصيب منهم أحداً إلا هلك، وليس كلهم أصابت، وخرجوه هاربين يتذرون الطريق، ويسألون عن (نفیل) ليدلهم على الطريق، هذا ونفیل على رأس الجبل مع قريش، وعرب الحجاز ينظرون ماذا أنزل الله بأصحاب الفيل من النعمة، وجعل نفیل يقول:

أين المفر والإله الطالب \* والأشرم المغلوب ليس الغالب

ونذكر الواقدي ببساطته: أنهم لما تعبوا لدخول الحرم، وهياوا الفيل جعلوا لا يصرفونه إلى جهة من سائر الجهات إلا ذهب فيها، فإذا وجهوه إلى الحرم ربض وصاح، وجعل أبرهة يحمل على سائس الفيل وبنهره ويضربه ليقهر الفيل على دخول الحرم، وعبد المطلب وجماعة من أشراف مكة على حراء ينظرون ما الحبشة يصنعون، وماذا يلقون من أمر الفيل وهو العجب العجاب، فيبينما هم كذلك إذ بعث الله عليهم {طيراً أبابيل} أي قطعاً قطعاً صبراً دون الحمام وأرجلها حمر، ومع كل طائر ثلاثة أحجار، وجاءت فحلقت عليهم، وأرسلت تلك الأحجار عليهم فهلكوا، قال عطاء: ليس كلهم أصحاب العذاب في الساعة الراهنة، بل منهم من هلك سريعاً، ومنهم من جعل يتساقط عضواً عضواً، وهم هاربون، وكان أبرهة من تساقط عضواً عضواً حتى مات ببلاد خثعم.

قال ابن إسحاق: فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم، كان فيما يعد به على قريش من نعمته عليهم وفضله، ما ردد عليهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم فقال: {ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل} إلى قوله: {فجعلهم كعصف مأكلو}، قوله: {لإيلاف قريش \*} إيلافهم \* رحلة الشتاء والصيف \* فليعبدوا رب هذا البيت \* الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف} أي : لئلا يغير شيئاً من حالهم التي كانوا عليها ، لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه. قال ابن هشام: "الأبابيل" الجماعات ولم تتكلم العرب بواحدة قال: وأما "السجيل" فأخبرني يونس النحوي وأبو عبيدة أنه عند العرب الشديد الصلب، "والعصف" ورق الزرع الذي لم يقضب واحدته عصفة. انتهى ما ذكره.

وقال ابن عباس والضحاك: أبابيل يتبع بعضها بعضاً، وقال الحسن البصري وقناة: الأبابيل الكثيرة، وقال مجاهد "أبابيل" شتى متتابعة مجتمعة، وقال ابن زيد: "الأبابيل" المختلفة تأتي من هنا، ومن هنا، أنتهت من كل مكان، وقال عكرمة: كانت طيراً خضراً خرجت من البحر لها رؤوس كرؤوس السباع (قال بن كثير: وهذه أسانيد صحيحة). وعن ابن عباس ومجاهد: كانت الطير الأبابيل مثل التي يقال لها عنقاء مغرب، وقال عبيد بن عمر: لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل بعث عليهم طيراً أنشئت من البحر أمثال الخطاطيف، كل طير منها يحمل ثلاثة أحجار مجزعة (أي ملونة بألوان مختلفة) حجرين في رجليه وحجرأ في منقاره ، قال: فجاءت حتى صفت على رؤوسهم ثم صاحت وألقت ما في أرجلها ومناقيرها، فما يقع على رأس رجل إلا وخرج من دبره ، ولا يقع على شيء من جسده إلا خرج من الجانب الآخر، وبعث الله ريحًا شديدة فضررت الحجارة فزادتها شدة فأهلكوا جميعاً. وقال ابن عباس {حجارة من سجيل} قال: طين في حجارة.

وقوله تعالى: {فجعلهم كعصف مأكول} قال سعيد بن جبير: يعني التبن الذي تسميه العامة هبور، وقال ابن عباس: العصف الفشرة التي على الحبة كالغلاف على الحنطة، وقال ابن زيد: العصف ورق الزرع، وورق البقل إذا أكلته البهائم فراثته فصار دريناً (دريناً: أي حطام المرعى وما بلى من الحشيش فلا ينتفع به) ، المعنى أن الله سبحانه وتعالى أهلكم ودمّر هم وردهم بكيدهم وغيطهم، لم ينالوا خيراً، وأهلك عامتهم ولم يرجع منهم مخبر إلا وهو جريح، كما يروى لأمية بن أبي الصلت بن ربعة قوله:

ما يماري فيهن إلا الكفور  
إن آيات ربنا باقيات  
خلق الليل والنهار فكل  
مستبيين حسابه مقدر  
ثم يجلو النهار رب رحيم      بهاء (المهأة : الشمس) شعاعها منشور  
حبس الفيل بالمعمم (مكان على نحو مليون من مكة) حتى صار يحبو كأنه معقول  
خلفوه ثم ابذعنوا (تقرعوا) جميعاً      كلهم عظم ساقه مكسور  
الله إلا دين الحنيفة بور      كل بين يوم القيمة عند

وقد قدمنا في تفسير سورة الفتح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أطل يوم الحديبية على الثنية التي تهبط به على قريش بركت ناقته، فزجرها فألحت، فقالوا: خلات القصواء، أي حرنت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما خلات القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حبس الفيل"، ثم قال: "والذي نفسي بيده لا يسألوني اليوم خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أجبتهم إليها"، ثم زجرها فقام (الحديث أخرجه البخاري). وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة: "إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين، وإنه قد عادت حرمتهااليوم كحرمتها بالأمس، إلا فيبلغ الشاهد الغائب".

## 106 - سورة قريش.

بسم الله الرحمن الرحيم.

لِإِلَيَّافْ قُرَيْشٍ {1} إِلَيْهِمْ رِحْلَةُ الشَّتَاءِ وَالصَّيفِ {2} فَلَيُعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ {3} الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ {4}

هذه السورة مفصلة عن التي قبلها في المصحف الإمام، كتبوا بينهما سطر (بسم الله الرحمن الرحيم) وإن كانت متعلقة بما قبلها، كما صرّح بذلك محمد ابن إسحاق وعبد الرحمن بن يزيد، لأن المعنى عندهما: حبسنا عن مكة الفيل، وأهلكنا أهله [لإيلاف قريش] أي لائلافهم واجتماعهم في بلد़هم آمنين، وقيل: المراد بذلك ما كانوا يألفونه من الرحلة في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام في المتاجر وغير ذلك، ثم يرجعون إلى بلد़هم آمنين في أسفارهم، لعظمتهم عند الناس لكونهم سكان حرم الله، فمن عرفهم احترمهم ومن سار معهم

أمن بهم، وهذا حالهم في أسفارهم ورحلتهم في شتائهم وصيفهم، أما في حال إقامتهم في البلد فكما قال الله تعالى: {أولم يروا أن جعلنا حرماً آمناً ويختطف الناس من حولهم}.

ولهذا قال تعالى: {إِلَيْلَفْ قَرِيشَ إِلَيْلَفْهُمْ} بدل من الأول ومفسر له، ولهذا قال تعالى: {إِلَيْلَفْهُمْ رَحْلَةَ الشَّتَاءِ وَالصَّيفِ} وقال ابن جرير: الصواب أن اللام لام التعجب، كأنه يقول: أتعجبوا لإيلاف قريش ونعمتي عليهم في ذلك، قال: وذلك لإجماع المسلمين على أنهما سورتان منفصلتان مستقلتان، ثم أرشدتهم إلى شكر هذه النعمة العظيمة فقال: {فَلَيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتَ} أي فليوحدوه بالعبادة كما جعل لهم حرمآً آمناً وبيتاً محراً، كما قال تعالى: {إِنَّمَا أَمْرَتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَمَهَا} قوله تعالى: {الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جَوْعٍ} أي هو رب البيت وهو الذي أطعمهم من جوع {وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ} أي تفضل عليهم بالأمن والرخص، فليفردوه بالعبادة وحده لا شريك له، ولا يعبدوا من دونه صنماً ولا نداً ولا وثنًا، ولهذا من استجابة لهذا الأمر، جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة، ومن عصاه سلبهما منه، كما قال تعالى: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مَطْمَئِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغْدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرُتْ بِأَنَّمَعَ اللَّهَ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجَوْعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ}.

## 107 - سورة الماعون.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ {1} فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتَيْمَ {2} وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِنِ {3} فَوَيْلٌ لِلْمُمْلَكَاتِ {4} الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ {5} الَّذِينَ هُمْ يُرَاوُونَ {6} وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ {7}

يقول تعالى: {أرأيْتَ} يا محمد {الذِي يَكْنُبُ بِالدِّينِ} وهو المعد والجزاء والثواب {فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتَيْمَ} أي هو الذي يقهر اليتيم ولا يطعمه ولا يحسن إليه {وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِنِ} كقوله {ولا تحاضرون على طعام المسكين}، ثم قال تعالى: {فَوَيْلٌ لِلْمُمْلَكَاتِ} الذين هم عن صلاتهم ساهون {قال ابن عباس: يعني المنافقين الذين يصلون في العلانية، ولا يصلون في السر، ولهذا قال: {لِلْمُمْلَكَاتِ} الذين هم من أهل الصلاة ثم هم عنها ساهون، إما عن فعلها بالكylie، أو يخرجها عن وقتها، وقال عطاء بن دينار: الحمد لله الذي قال: {عن صلاتهم ساهون} ولم يقل {في صلاتهم ساهون} فيؤخرنها إلى آخر الوقت، أو لا يؤدونها بأركانها وشروطها عن الشخوص فيها والتذير لمعانيها، فاللفظ يشمل ذلك كله، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، يجلس يرقب الشمس، حتى إذا كانت بين قرنى الشيطان قام فنقر أربعاء، لا يذكر الله فيها إلا قليلاً". فهذا آخر صلاة العصر التي هي الوسطى - كما ثبت به النص - إلى آخر وقتها، وهو وقت كراهة ، ثم قام إليها فنقرها نقر الغراب، لم يطمئن ولا خشع فيها أيضاً، ولهذا قال: "لا يذكر الله فيها إلا قليلاً" ولعله إنما حمله على القيام إليها مراءة الناس، لا ابتغاء وجه الله، فهو كما إذا لم يصل بالكylie، قال الله تعالى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يَرَاوُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا}،

وقال تعالى هنا: {الذين هم يراؤون}. وروى الإمام أحمد عن عمرو بن مرة قال: كنا جلوسًا عند أبي عبيدة ، فذكروا الرباء ، فقال رجل يكفي بأبي يزيد: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من سمع الناس بعمله سمع الله به سامع خلقه وحقره وصغره" . وما يتعلق بقوله تعالى: {الذين هم يراؤون} أن من عمل عملاً لله فاطلع عليه الناس فأعجبه ذلك أن هذا لا يعد رباء ، لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنت أصلِّي ، فدخل علىَّ رجل ، فأعجبني ذلك فذكرته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "كتب لك أجران: أجر السر وأجر العلانية" (أخرجه الحافظ الموصلي). وفي رواية عنه قال، قال رجل: يا رسول الله! الرجل يعمل العمل يسره فإذا اطلع عليه أعجبه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "له أجران: أجر السر وأجر العلانية" (آخرجه الترمذى والطیالسى وأبو يعلى الموصلى). وعن سعد بن أبي وقاص قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن {الذين هم عن صلاتهم ساهون} قال: "هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها" (آخرجه ابن حجر الطبرى). قلت: وتتأخر الصلاة عن وقتها يحتمل تركها بالكلية، ويحتمل صلاتها بعد وقتها شرعاً، أو تأخيرها عن أول الوقت.

وقوله تعالى: {ويمنعون الماعون} أي لا أحسنوا عبادة ربهم، ولا أحسنوا إلى خلقه، حتى ولا بإعارة ما ينتفع به مع بقاء عينه ورجوعهم إليهم، فهو لاء لمنع الزكاة وأنواع القربات أولى وأولى. وقد قال مجاهد {الماعون} الزكاة، وقال الحسن البصري: إن صلى راءى، وإن فاتته لم يأس عليها، ويفعل زكاة ماله، وفي لفظ: صدقة ماله. وقال زيد بن أسلم: هم المنافقون ظهرت الصلاة فصلوها، وخفيت الزكاة فمنعوها. وسئل ابن مسعود عن الماعون؟ فقال: هو ما يتبعاه الناس بينهم من الفاس والقدر والدلو وأشباه ذلك، وقال ابن حجر، عن عبد الله قال: "كنا أصحاباً محمد صلى الله عليه وسلم نتحدث أن الماعون الدلو والفاس والقدر لا يستغنى عنهم"، ولفظ النسائي عن عبد الله قال: كل معروف صدقة، وكنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عارية الدلو والقدر، وعن ابن عباس: {ويمنعون الماعون} يعني منتع البيت، وكذلك قال مجاهد والنخعي إنها العارية للأمة، وقد اختلف الناس في ذلك، فمنهم من قال: يمنعون الزكاة، ومنهم من قال: يمنعون الطاعة، ومنهم من قال: يمنعون العارية، وعن علي: الماعون منع الناس الفاس والقدر والدلو، وقال عكرمة: رأس الماعون زكاة المال وأذنه المنخل والدلو والإبرة، وهذا الذي قاله عكرمة حسن، فإنه يشمل الأقوال كلها، وترجع كلها إلى شيء واحد، وهو ترك المعاونة بمال أو منفعة، ولهذا جاء في الحديث: "كل معروف صدقة".

## 108 - سورة الكوثر.

بسم الله الرحمن الرحيم.

**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثرَ {1} فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحِرْ {2} إِنْ شَانَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ {3}**

روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا في المسجد إذا أغفى إغفاءة، ثم رفع مبتسماً قلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: "لقد أنزلت عليَّ آنفَا سورة" فقرأ: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثرَ \* فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحِرْ \* إِنْ شَانَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ}، ثم قال: "أندرون ما الكوثر؟" قلنا: الله ورسوله أعلم، قال:

فإنه نهر في الجنة وعندية ربى عزَّ وجَّلَ عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيمة آنيته عدد النجوم في السماء فيختلع العبد منهم، فأقول: رب إنه من أمتى، فيقول: إنك لا تدري ما أحده بعدك" (أخرجه مسلم وأبو داود والنمسائي)، وقد استدل كثير من القراء على أن هذه السورة مدنية.

فاما قوله تعالى: {إنا أعطيناك الكوثر} فقد تقدم في هذا الحديث أنه نهر في الجنة، وقد رواه الإمام أحمد عن أنس أنهقرأ هذه الآية: {إنا أعطيناك الكوثر} قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أعطيت الكوثر فإذا هو نهر يجري ولم يشق شقا، وإذا حفاته قباب المؤلو فضررت بيدي في تربته، فإذا مسك أذفر، وإذا حصباوه المؤلو" (أخرجه الإمام أحمد). وعن أنس بن مالك قال: لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء قال: "أنيت على نهر حفاته قباب المؤلو المجوف فقلت: ما هذا يا جبريل؟ فقال: هذا الكوثر" (أخرجه البخاري).

وروى ابن جرير، عن أنس بن مالك قال: لما أسرى برسول الله عليه وسلم مضى به جبريل في السماء الدنيا، فإذا هو بنهر عليه قصر من المؤلو وزبرجد، فذهب يشم ترابه، فإذا هو مسك، قال: "يا جبريل ما هذا النهر؟" قال: هو الكوثر الذي خبأ لك ربك؛ وفي رواية عن أنس قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكوثر؟ فقال: "هو نهر أعطانيه الله تعالى في الجنة ترابه مسك، أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، ترده طير أعناقها مثل أعنق الجزر"، قال أبو بكر: يا رسول الله إنها لنعماتة؟ قال: "أكلها أنعم منها".

وقال البخاري: حدثنا خالد بن يزيد الكاهلي ، حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عائشة رضي الله عنها قال: سألتها عن قوله تعالى: {إنا أعطيناك الكوثر} قالت: نهر أعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم شاطئه عليه در مجوف آنيته كعدد النجوم" . وعن عائشة قالت: الكوثر نهر في الجنة شاطئه در مجوف، وقال إسرائيل: نهر في الجنة عليه من الآنية عدد نجوم السماء، وعن مسروق قال، قلت لعائشة: يا أم المؤمنين حدثني عن الكوثر؟ قالت: نهر في بطانة الجنة، قلت: وما بطانة الجنة؟ قالت: وسطها، حفاته قصور المؤلو والياقوت، ترابه المسك، وحصباوه المؤلو والياقوت (أخرجه ابن جرير).

وقال البخاري، عن ابن عباس رضي الله عنهم أنه قال في الكوثر: هو الخير الذي أعطاه الله إياه، قال أبو البشر: قلت لسعيد بن جبير: فإن ناساً يزعمون أنه نهر في الجنة، فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه . وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: الكوثر الخير الكثير، وهذا التفسير يعم النهر وغيره، لأن الكوثر من الكثرة وهو الخير الكثير، ومن ذلك النهر كما قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد، حتى قال مجاهد: هو الخير الكثير في الدنيا والآخرة، وقال عكرمة: هو النبوة والقرآن وثواب الآخرة، وقد صح عن ابن عباس أنه فسره بالنهر أيضاً، فقال ابن جرير: عن ابن عباس قال: "الكوثر نهر في الجنة، حفاته ذهب وفضة، يجري على الياقوت والدر، ماؤه أبيض من الثلج، وأحلى من العسل". وعن ابن عمر أنه قال: الكوثر نهر في الجنة حفاته ذهب وفضة، يجري على الدر والياقوت، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل (أخرجه الترمذى موقفاً). وقد روى مرفوعاً فقال الإمام أحمد: عن ابن عمر قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الكوثر

نهر في الجنة، حافته من ذهب، والماء يجري على اللؤلؤ، وماءه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل" (رواه الترمذى وابن ماجة، وقال الترمذى: حسن صحيح). وروى ابن جرير عن عطاء بن السائب قال: قال لي محارب بن دثار ما قال سعيد بن جبير في الكوثر. قالت: حدثنا عن ابن عباس أنه قال: هو الخير الكثير، فقال: صدق الله إله للخير الكثير؛ ولكن حدثنا ابن عمر قال: لما نزلت {إنا أعطيناك الكوثر} قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الكوثر نهر في الجنة حافته من ذهب يجري على الدر والياقوت". وهكذا روي عن أنس وأبي العالية ومجاحد وغير واحد من السلف أن الكوثر نهر في الجنة، وقال عطاء: هو حوض في الجنة.

وقوله تعالى: {فصل لربك وانحر} أي كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة ومن ذلك النهر الذي تقدم صفتة، فأخلص لربك صلاتك المكتوبة والنافلة، ونحرك فاعبده وحده لا شريك له، وانحر على اسمه وحده لا شريك له، كما قال تعالى: {قل إن صلاتي ونسكي ومحبتي ومماتي لله رب العالمين \* لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين} قال ابن عباس: يعني بذلك نحر الدين ونحوها، وقيل: المراد بقوله: {وانحر} وضع اليد اليمنى على اليسرى تحت النحر، وفيما يحيى ومتى لله رب العالمين \* لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين} قال ابن المراد بالنحر ذبح المناسك، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى العيد ثم ينحر نسكه ويقول: "من صلى صلاتنا ونسك نسكنا، فقد أصاب النسك ، و من نسك قبل الصلاة فلا نسك له" الحديث. قال ابن جرير: والصواب قول من قال: إن معنى ذلك فاجعل صلاتك كلها لربك خالصاً، دون ما سواه من الأنداد والآلهة، وكذلك نحرك اجعله له دون الأولان، شكرأ له على ما أعطيك من الكرامة والخير الذي لا كفأله وخصك به، وهذا الذي قاله في غاية الحسن.

وقوله تعالى: {إن شانئك هو الأبتر} أي إن مبغضك يا محمد، ومبغض ما جئت به من الهدى والحق، والبرهان الساطع والنور المبين {هو الأبتر} الأقل الأذل المنقطع ذكره، قال ابن عباس ومجاحد: نزلت في العاص بن وائل، وقال يزيد بن رومان: قال، كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: دعوه فإنه رجل أبتر لا عقب له، فإذا هلك انقطع ذكره، فأنزل الله هذه السورة، وقيل: نزلت في عقبة ابن أبي معيط، وقال عطاء: نزلت في (أبي لهب) وذلك حين مات ابن لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فذهب أبو لهب إلى المنشركين، فقال: بتر محمد الليلة فأنزل الله في ذلك: {إن شانئك هو الأبتر}، وعن ابن عباس: نزلت في (أبي جهل) وعنده {إن شانئك} يعني عدوك، وهذا يعم جميع من اتصف بذلك من ذكر وغيرهم. وقال عكرمة: الأبتر الفرد، وقال السدي: كانوا إذا مات ذكور الرجل، قالوا: بتر، فلما مات أبناء رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالوا: بتر محمد، فأنزل الله: {إن شانئك هو الأبتر}، وهذا يرجع إلى ما قالناه من أن الأبتر الذي إذا مات انقطع ذكره، فتوهموا لجهلهم أنه إذا مات بنوه انقطع ذكره، وحاشا وكلا، بل قد أبقى الله ذكره على رؤوس الأشهاد، وأوجب شرعيه على رقاب العباد، مستمراً على دوام الآباء، إلى يوم المحشر والمعد، صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم التقى.

## 109 - سورة الكافرون.

### [مقدمة]

ثبت في صحيح مسلم، عن جابر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ بهذه السورة، وبقل هو الله أحد، في ركعتي الطواف ، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ بهما في ركعتي الفجر، وقد تقدم في الحديث أنها تعدل ربع القرآن، وروى الطبراني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أخذ مضععه قرأ {قل يا أيها الكافرون} حتى يختتمها (أخرجه الطبراني)، وعن الحارث بن جبلة قال، قلت: يا رسول الله علمني شيئاً أقوله عند منامي، قال: "إذا أخذت مضععك من الليل فاقرأ {يا أيها الكافرون} فإنها براءة من الشرك" (أخرجه الإمام أحمد)، والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم.

**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ {1} لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ {2} وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ {3} وَلَا أَنَا عَابِدٌ  
مَا عَبَدْتُمْ {4} وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ {5} لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ {6}**

هذه سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون، فقوله تعالى: {قل يا أيها الكافرون} يشمل كل كافر على وجه الأرض، ولكن الموجهون بهذا الخطاب هم (كفار قريش) دعوا رسول الله إلى عبادة أوئلهم سنة، ويعبدون معبوده سنة، فأنزل الله هذه السورة وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية، فقال: {لا أعبد ما تعبدون} يعني من الأصنام والأنداد، {ولا أنتم عابدون ما أعبد} وهو الله وحده لا شريك له، ثم قال: {ولا أنا عابد ما عبّدتم} \* ولا أنتم عابدون ما أعبد} أي ولا أعبد عبادتكم أي لا أسلكها ولا أقتدي بها، وإنما أعبد الله على الوجه الذي يحبه ويرضاه ، ولهذا قال: {ولا أنتم عابدون ما أعبد} أي لا تقدتون بأوامر الله وشرعه، في عبادته، بل قد اخترعتم شيئاً من تلقاء أنفسكم، كما قال: {إن يتبعون إلا الظن وما تهوي الأنفس} فتبرأ منهم في جميع ما هم فيه، ولهذا كان كلامه الإسلام "لا إله إلا الله محمد رسول الله" أي لا معبد إلا الله، ولا طريق إليه إلا بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، والمشركون يعبدون غير الله عبادة لم يأذن الله بها، ولهذا قال: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}، كما قال تعالى: {وَإِنْ كُنْتُمْ فَقْلَ لِي عَمَلُكُمْ} ، وقال: {لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ} ، وقال البخاري {لَكُمْ دِينُكُمْ} الكفر، {ولِي دِينِ} الإسلام، ولم يقل: ديني، لأن الآيات بالنون فحذف الياء، كما قال: {فَهُوَ يَهُدِينَ} {وَيَشْفَعُونَ} ، وقال غيره: {لا أعبد ما تعبدون} الآن ولا أحبيكم بما بقي من عمري {ولا أنتم عابدون ما أعبد} ، ونقل ابن حجر عن بعض أهل العربية أن ذلك من باب التأكيد قوله: {فَإِنْ مَعَ الْعُسْرِ يَسِرًا} إن مع العسر يسراً فهذه ثلاثة أقوال: أولهما: ما ذكرناه أولاً. والثانية: ما حكاها البخاري وغيره من المفسرين أن المراد: {لا أعبد ما تعبدون} \* ولا أنتم عابدون ما أعبد} في الماضي {ولا أنا عابد ما عبّدتُمْ \* ولا أنتم عابدون ما أعبد} في المستقبل. الثالث: أن ذلك تأكيد محض. وثم قول رابع: نصره ابن تيمية في بعض كتبه، وهو أن المراد بقوله: {لا أعبد ما تعبدون} نفي الفعل لأنها جملة فعلية، {ولا أنا عابد ما عبّدتُمْ} نفي قبوله لذلك بالكلية، لأن النفي بالجملة الإسمية أكد، فكانه نفي الفعل، وكونه قابلاً لذلك، ومعناه نفي الواقع، ونفي الإمكان الشرعي أيضاً، وهو قول حسن أيضاً، والله أعلم.

## 110 - سورة النصر.

[مقدمة]

روى الحافظ أبو بكر البزار، عن ابن عمر قال: أنزلت هذه السورة {إذا جاء نصر الله والفتح} على رسول الله صلى الله عليه وسلم أووسط أيام التشريق، فعرف أنه الوداع، فأمر براحته القصواء فرحلت، ثم قام فخطب الناس فذكر خطبه المشهورة (أخرجه البزار والبيهقي)، وروى الحافظ البيهقي، عن ابن عباس قال: لما نزلت {إذا جاء نصر الله والفتح} دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة، وقال: "إنه قد نعيت إلي نفسي" فبكت ثم ضحكت، وقالت: أخبرني أنه نعيت إليه نفسه، فبكـت، ثم قال: "اصبرـي فإـنـك أول أهـلـي لـحـاقـي" فـضـحـكـت (أخرجه البيهـقي ورواه النـسـائـي بـنـحـوهـ بـدـونـ ذـكـرـ فـاطـمـةـ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ {1} وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْرَاجًا {2} فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَابًا {3}

روى البخاري، عن ابن عباس قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكان بعضهم وجد في نفسه، فقال: لم يدخل هذا معنا، ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه ممن قد علمتم، فدعاهـم ذات يوم فادخلـهـ معـهـمـ،ـ فـماـ رـأـيـتـ آـنـهـ دـعـانـيـ بـوـمـئـذـ إـلـاـ لـيـرـيـهـمـ،ـ فـقـالـ:ـ مـاـ تـقـولـونـ فـيـ قـوـلـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ {إـذـاـ جـاءـ نـصـرـ اللـهـ وـالـفـتـحـ}؟ـ فـقـالـ بـعـضـهـمـ:ـ أـمـرـنـاـ أـنـ نـحـمـدـ اللـهـ وـنـسـتـغـفـرـ إـذـاـ نـصـرـنـاـ وـفـتـحـ عـلـيـنـاـ،ـ وـسـكـتـ بـعـضـهـمـ فـلـمـ يـقـلـ شـيـئـاـ،ـ فـقـالـ لـيـ:ـ أـكـلـكـ تـقـولـ يـاـ اـبـنـ عـبـاسـ؟ـ فـقـلـتـ:ـ لـاـ،ـ فـقـالـ:ـ مـاـ تـقـولـ؟ـ فـقـلـتـ:ـ هـوـ أـجـلـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ أـعـلـمـ لـهـ قـالـ:ـ {إـذـاـ جـاءـ نـصـرـ اللـهـ وـالـفـتـحـ}ـ فـذـكـرـ عـلـمـةـ أـجـلـكـ {فـسـبـحـ بـحـمـدـ رـبـكـ وـاسـتـغـفـرـ إـنـهـ كـانـ تـوـابـاـ}ـ فـقـالـ عمرـ بـنـ الخطـابـ:ـ لـاـ أـعـلـمـ مـنـهـ إـلـاـ مـاـ تـقـولـ (أـخـرـجـهـ الـبـخـارـيـ فـيـ صـحـيـحـهـ).

وروى الإمام أحمد عن ابن عباس قال: لما نزلت {إذا جاء نصر الله والفتح} قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نعيت إلي نفسي"، وأنه مفوض في تلك السنة، وهكذا قال مجاهـدـ والضـحـاكـ وـغـيرـ وـاحـدـ إـنـهـ أـجـلـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ نـعـيـ إـلـيـهـ،ـ وـعـنـ اـبـنـ عـبـاسـ قـالـ:ـ لـمـ نـزـلـتـ {إـذـاـ جـاءـ نـصـرـ اللـهـ وـالـفـتـحـ}ـ حـتـىـ خـتـمـ السـوـرـةـ قـالـ:ـ نـعـيـتـ لـرـسـوـلـ اللـهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ نـفـسـهـ حـيـنـ نـزـلـتـ،ـ قـالـ:ـ فـأـخـذـ بـأـشـدـ مـاـ كـانـ قـطـ اـجـتـهـادـاـ فـيـ أـمـرـ الـآـخـرـةـ،ـ وـقـالـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ بـعـدـ ذـلـكـ:ـ "جـاءـ الفـتـحـ وـنـصـرـ اللـهـ،ـ وـجـاءـ أـهـلـ الـيمـنـ"ـ،ـ فـقـالـ رـجـلـ:ـ يـاـ رـسـوـلـ اللـهـ وـمـاـ أـهـلـ الـيمـنـ؟ـ قـالـ:ـ "قـوـمـ رـفـيقـةـ قـلـوبـهـمـ،ـ لـيـنـةـ طـبـاعـهـمـ،ـ الإـيمـانـ يـمـانـ وـالـفـقـهـ يـمـانـ"ـ (أـخـرـجـهـ الطـبـرـانـيـ وـالـنـسـائـيـ)ـ،ـ وـقـدـ ثـبـيـتـ أـنـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ قـالـ يـوـمـ الـفـتـحـ:ـ "لـاـ هـجـرـةـ وـلـكـ جـهـادـ وـنـيـةـ،ـ وـلـكـ إـذـاـ اـسـتـفـرـتـ فـانـفـرـواـ"ـ (أـخـرـجـهـ الـبـخـارـيـ وـمـسـلـمـ)،ـ فـالـذـيـ فـسـرـ بـهـ بـعـضـ الصـحـابـةـ مـنـ جـلـسـاءـ عـمـرـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـمـ أـجـمـعـيـنـ مـنـ أـنـهـ قـدـ أـمـرـنـاـ إـذـاـ فـتـحـ اللـهـ عـلـيـنـاـ الـمـدـائـنـ وـالـحـصـونـ،ـ أـنـ نـحـمـدـ اللـهـ وـنـشـكـرـهـ وـنـسـبـحـهـ،ـ يـعـنـيـ نـصـلـيـ لـهـ وـنـسـتـغـفـرـهـ،ـ مـعـنـيـ مـلـيـحـ صـحـيـحـ،ـ وـقـدـ ثـبـيـتـ لـهـ شـاهـدـ مـنـ صـلـاـةـ النـبـيـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ يـوـمـ فـتـحـ مـكـةـ وـقـتـ الضـحـىـ ثـمـانـيـ رـكـعـاتـ،ـ فـيـسـتـحـبـ لـأـمـيـرـ الـجـيـشـ إـذـاـ فـتـحـ بـلـدـاـ أـنـ يـصـلـيـ فـيـهـ أـوـلـ مـاـ يـدـخـلـهـ ثـمـانـيـ رـكـعـاتـ،ـ وـهـكـذـاـ فـعـلـ سـعـدـ بـنـ أـبـيـ وـقـاصـ يـوـمـ فـتـحـ الـمـدـائـنـ،ـ وـأـمـاـ مـاـ فـسـرـ بـهـ اـبـنـ عـبـاسـ وـعـمـرـ

رضي الله تعالى عنهم من أن هذه السورة نعي فيها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم روحه الكريمة، وأعلم أنك إذا فتحت مكة وهي قرينتك التي أخرجتك ودخل الناس في دين الله أفواجاً، فقد فرغ شغلنا بك في الدنيا فتهبأ للقدوم علينا والوفود إلينا فلآخرة خير لك من الدنيا، ولسوف يعطيك ربك فترضى، ولهذا قال: {فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً}.

روى البخاري، عن مسروق، عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي" يتأنى القرآن (أخرجه البخاري وبقية الجماعة إلا الترمذى)، وقالت عائشة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر في آخر أمره من قول: "سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه"، وقال: "إن ربي كان أخبرني أنى سأرى علامة في أمتي، وأمرني إذا رأيتها أن أسبح بحمده وأستغفره إنه كان تواباً، فقد رأيتها {إذا جاء نصر الله والفتح} \* ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً \* فسبّح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً" (آخرجه أحمد ورواه مسلم بنحوه)

والمراد بالفتح هنا فتح مكة قولاً واحداً، فإن أحياه العرب كانت تتلوم بإسلامها ففتح مكة يقولون: إن ظهر على قومه فهو نبي، فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله أفواجاً، فلم تمض سنتان حتى استوسيقت جزيرة العرب إيماناً ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام والله الحمد والمنة، وقد روى البخاري في صحيحه عن عمرو بن سلمة قال: لما كان الفتح بادر كل قوم بإسلامهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الأحياء تتلوم بإسلامها ففتح مكة يقولون: دعوه وقومه، فإن ظهر عليهم فهونبي الحديث. وقال الإمام أحمد بسنده: حدثني جار لجابر بن عبد الله قال: قدمت من سفر فجاءني (جابر بن عبد الله) فسلم على، فجعلت أحدثه عن افتراق الناس وما أحدثوا، فجعل جابر يبكي، ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الناس دخلوا في دين الله أفواجاً، وسيخرجون منه أفواجاً".

## 111 - سورة المسد.

بسم الله الرحمن الرحيم.

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ {1} مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ {2} سَيِّصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ {3}  
وَأَمْرَأَهُ حَمَالَةَ الْحَطَبِ {4} فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدِ {5}

روى البخاري، عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى البطحاء فصعد الجبل فنادى: "يا صدحاه" فاجتمعت إليه قريش، فقال: "أرأيتم إن حدثكم أن العدو مصبهكم أو ممسكم أكنتم تصدقون؟" قالوا: نعم، قال: "فإنني نذير لكم بين يدي عذاب شديد"، فقال أبو لهب: أهذا جمعتنا؟ تبا لك، فأنزل الله: {تبَتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} إلى آخرها ، وفي رواية: ققام ينفض بيده وهو يقول: تبا لك سائر اليوم، أهذا جمعتنا؟ فأنزل الله: {تبَتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} الأول دعاء عليه، والثاني خبر عنه، فأبو لهب هذا أحد أعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم، واسمه (عبد العزى بن عبد المطلب) وكان كثير الأذية لرسول الله صلى الله

عليه وسلم والبغض له، والتقص له ولدينه. روى الإمام أحمد عن أبي الزناد قال: أخبرني رجل يقال له (ربيعة بن عباد) من بنى الدليل وكان جاهلياً فأسلم قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول: "يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تقلعوا" والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وضيء الوجه، أحول ذو غيرتين ، يقول: إنه صابئ كاذب، يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه، فقالوا: هذا عمه أبو لهب". وقال محمد بن إسحاق، عن ربيعة بن عباد قال: إنني لمع أبي رجل شاب أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع القبائل، ووراءه رجل أحول وضيء الوجه ذو جمة، يقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على القبيلة فيقول: "يا بنى فلان إني رسول الله إليكم أمركم أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئاً، وأن تصدقونني وتمنعوني حتى أنفذ عن الله ما بعثني به"، وإذا فرغ من مقالته قال الآخر من خلفه: يا بنى فلان هذا يريد منكم أن تسلخوا اللات والعزى وخلفاكم من الجن إلى ما جاء به من البدعة والضلال، فلا تسمعوا له، ولا تتبعوه، فقلت لأبي: من هذا؟ قال: عمه أبو لهب (آخرجه أحد الطيراني). ف قوله تعالى: {تبت يدا أبي لهب} أي خسرت وخابت وضل عمله وسعيه، {وتبت} أي وقد تب تحقق خسارته وهلاكه.

وقوله تعالى: {ما أغني عنه ماله وما كسب} قال ابن عباس: {وما كسب} يعني ولده، يروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا قومه إلى الإيمان قال أبو لهب: إن كان ما يقول ابن أخي حقاً فأقدي نفسي يوم القيمة من العذاب بمالي وولدي، فأنزل الله تعالى: {ما أغني عنه ماله وما كسب}. و قوله تعالى: {سيصلني ناراً ذات لهب} أي ذات شرر ولهب وإحراق شديد، {وامرأته حمالة الحطب} وكانت زوجته من سادات نساء قريش، وهي (أم جميل) واسمها (أروى بنت حرب بن أمية) وهي أخت أبي سفيان، وكانت عوناً لزوجها على كفره وجحوده وعناده، فلهذا تكون يوم القيمة عوناً عليه في عذابه في نار جهنم، لهذا قال تعالى: {حملة الحطب في جيدها حبل من مسد} يعني تحمل الحطب فلتقي على زوجها ليزداد على ما هو فيه، هي مهيبة لذلك مستعدة له، {في جيدها حبل من مسد} قال مجاهد: من مسد النار، وعن مجاهد وعكرمة {حملة الحطب} كانت تمشي بالنميمة (واختاره ابن جرير).

وقال ابن عباس والضحاك: كانت تضع الشوك في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال سعيد بن المسيب: كانت لها قلادة فاخرة، فقالت: لأنفقها في عداوة محمد، فأعقبها الله منها حبلًا في جيدها من مسد النار، والمسد الليف، وقيل: هو قلادة من نار طولها سبعون ذراعاً، قال الجوهري: المسد الليف، والمسد أيضاً حبل من ليف أو خوص، وقال مجاهد: {حبل من مسد} أي طوق من حديد، أخرج ابن أبي حاتم عن أسماء بنت أبي بكر قالت: لما نزلت: {تبت يدا أبي لهب} أقبلت العوراء (أم جميل) بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول: مذمماً أبینا - ودينه قلینا - وأمره عصينا ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد ومعه أبو بكر، فلما رآها أبو بكر قال: يا رسول الله قد أقبلت وأنا أخاف عليك أن تراك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنها لن تراني"، وقرأ قرآن اعتصم به، كما قال تعالى: {وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً}، فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر، ولم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا أبا بكر إني أخبرت أن صاحبك هجاني، قال: لا ورب هذا البيت ما هجاك، فولت وهي تقول: قد علمت قريش أني ابنة سيدها، قال: فعثرت أم جميل في مرطها وهي تطوف بالبيت، فقالت: تعس مذمم (آخرجه ابن أبي حاتم). وقد قال بعض أهل العلم في قوله تعالى: {في جيدها حبل

من مسد} أي في عنقها حبل من نار جهنم ترفع به إلى شفيرها، ثم ترمى إلى أسفلها، ثم لا تزال كذلك دائماً. قال العلماء: وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة، فإنه منذ نزل قوله تعالى: {سيصلى ناراً ذات لهب \* وامرأته حمالة الحطب \*} في جيدها حبل من مسد} فأخبر عنهم بالشقاء وعدم الإيمان لم يقيض لهم أن يؤمنوا ولا واحد منهمما لا باطنًا ولا ظاهراً، لا سرًا ولا علنًا، فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة، على النبوة الظاهرة.

## 112 - سورة الإخلاص.

(ذكر سبب نزولها وفضلها).

عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: يا محمد انساب لنا ربك، فأنزل الله تعالى: {قل هو الله أحد \* الله الصمد \* لم يلد ولم يولد \* ولم يكن له كفوا أحد} (أخرجه أحمد والترمذى وابن جرير)، زاد ابن جرير والترمذى، قال: {الصمد} الذي لم يلد ولم يولد لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سبورث، وإن الله عزَّ وجَّلَ لا يموت ولا يبورث، {ولم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء}.

حديث آخر في فضلها: روى البخاري، عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختتم بـ {قل هو الله أحد}، فلما رجعوا ذكرروا ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟" فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أخبروه أن الله تعالى يحبه" (أخرج البخاري في كتاب التوحيد).

الحديث آخر: قال البخاري في كتاب الصلاة، عن أنس رضي الله عنه قال: كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء، فكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به، افتتح بقل هو الله أحد حتى يفرغ منها ثم كان يقرأ سورة أخرى معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة، فكلمه أصحابه، فقالوا: إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تجزئك، حتى تقرأ بالأخرى، فإنما أن تقرأ بها، وإنما أن تدعها وتقرأ بأخرى، فقال: ما أنا بتاركها، إن أحببتم أن أوهمكم بذلك فعلت، وإن كرهتم تركتكم، وكانوا يرون أنه من أفضلهم، وكرهوا أن يؤمهم غيره، فلما أتاهم النبي صلى الله عليه وسلم أخباره الخبر، قال: يا فلان "ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك، وما حملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة؟" قال: إني أحبها، قال: "حبك إياها أدخلك الجنة".

الحديث آخر: قال البخاري، عن أبي سعيد رضي الله عنه قال، قال رسول الله عليه وسلم لأصحابه: "أعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟" فشق ذلك عليهم، وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟ قال: "الله الواحد الصمد ثلث القرآن" (أخرج البخاري). حديث آخر: قال أحمد، عن أبي بن كعب قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ بقل هو الله أحد فكأنما قرأ بثلث القرآن" (أخرجه أحمد). حديث آخر: عن أبي الدرداء رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أعجز أحدكم أن يقرأ كل يوم ثلث القرآن؟" قالوا: نعم يا رسول الله نحن أضعف من ذلك وأعجز، قال: "فإن الله جزا القرآن ثلاثة أجزاء، فقل هو الله أحد ثلث القرآن" (رواه أحمد ومسلم والنسائي).

حديث آخر: عن عبد الله بن حبيب قال: أصابنا عطش وظلمة، فانتظرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بنا فخرج فأخذ بيدي فقال: "فُلْ"، فسكت، قال: "فُلْ"، قلت: ما أقول؟ قال: "قل هو الله أحد والمعونتين حين تمسى، وحين تصبح ثلاثة، تكفيك كل يوم مرتين" (رواه أبو داود والترمذى والنمسائى). حديث آخر: عن سهل بن معاذ بن أنس الجهنى، عن أبيه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من قرأ قل هو الله أحد حتى يختتمها عشر مرات بـنـى الله له قصراً في الجنة"، فقال عمر: إذا نستكثـر يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الله أكثر وأطيب" (رواه أحمد والدارمى). حديث آخر، في فضلها مع المعونتين: عن عقبة بن عامر قال: لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذته بيده، فقالت: يا رسول الله بم نجاة المؤمن؟ قال: "يا عقبة أخـرس لسانك، وليسـك بيـنكـ، وابـكـ على خطـيـتكـ" قال: ثم لـقـيـ رسولـ اللهـ صـلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـلـمـ فـابـتـدـأـنـيـ، فـأـخـذـ بـيـديـ فـقـالـ: "يا عـقبـةـ بـنـ عـامـرـ أـلـأـعـلـمـ خـيرـ ثـلـاثـ سـوـرـ أـنـزـلـتـ فـيـ التـورـةـ وـالـإـنـجـيلـ وـالـزـبـورـ وـالـقـرـآنـ العـظـيمـ"؟ قال، قـلـتـ: بـلـىـ، جـعـلـنـيـ اللهـ فـدـاكـ، قالـ: فـأـقـرـأـنـيـ: {قل هو الله أحد – وـقـلـ أـعـوذـ بـرـبـ الـفـلـقـ – وـقـلـ أـعـوذـ بـرـبـ النـاسـ}، ثم قـالـ: "يا عـقبـةـ لـاـ تـسـهـنـ وـلـاـ تـبـتـ لـيـلـةـ حـتـىـ تـقـرـأـهـنـ" قالـ: فـمـاـ نـسـيـهـنـ مـذـ قـالـ لـاـ تـسـهـنـ، وـمـاـ بـتـ لـيـلـةـ قـطـ حـتـىـ تـقـرـأـهـنـ، قالـ عـقبـةـ: ثـمـ لـقـيـ رسولـ اللهـ صـلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـلـمـ فـابـتـدـأـنـيـ، فـأـخـذـتـ بـيـديـ، فـقـالـ: يا رسولـ اللهـ أـخـبـرـنـيـ بـفـوـاضـلـ الـأـعـمـالـ فـقـالـ: "يا عـقبـةـ صـلـ منـ قـطـعـكـ، وـأـعـطـ منـ حـرـمـكـ، وـأـعـرـضـ عـمـنـ ظـلـمـكـ" (رواه أحمد والترمذى). حديث آخر: في الاستشفاء بهن، قال البخارى، عن عائشة، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما، وقرأ فيهما: {قل هو الله أحد} و {قل أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} و {قل أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده بيدهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات (أخرج البخارى وأهل السنن).

بـسـمـ اللـهـ الرـحـمـنـ الرـحـيمـ.

**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {1} اللَّهُ الصَّمَدُ {2} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ {3} وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ {4}**

قال عكرمة: لما قالت اليهود: نحن نعبد عزير بن الله، وقالت النصارى: نحن نعبد المسيح بن الله، وقالت المجوس: نحن نعبد الشمس والقمر، وقالت المشركون: نحن نعبد الأوثان أنزـلـ اللهـ عـلـيـ رـسـولـهـ صـلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـلـمـ {قلـ هوـ اللهـ أـحـدـ} يعنيـ هوـ الـواـحـدـ الـأـحـدـ، الـذـيـ لاـ نـظـيرـ لـهـ وـلاـ وزـيـرـ، وـلاـ شـبـيهـ وـلاـ عـدـيلـ، لـأـنـ الـكـاملـ فـيـ جـمـيعـ صـفـاتـهـ وـأـفـعـالـهـ، وـقـوـلـهـ تـعـالـىـ: {الـلـهـ الصـمـدـ} يعنيـ الـذـيـ يـصـمـدـ إـلـيـهـ الـخـلـائقـ فـيـ حـوـائـجـهـ وـمـسـائـلـهـ، قـالـ اـبـنـ العـبـاسـ: هـوـ السـيـدـ الـذـيـ قـدـ كـمـلـ فـيـ سـوـدـدـهـ، وـالـشـرـيفـ الـذـيـ قـدـ كـمـلـ فـيـ شـرـفـهـ، وـالـعـظـيمـ الـذـيـ قـدـ كـمـلـ فـيـ عـظـمـتـهـ، وـالـحـلـيمـ الـذـيـ قـدـ كـمـلـ حـلـمـهـ، وـالـعـلـيمـ الـذـيـ قـدـ كـمـلـ فـيـ عـلـمـهـ، وـالـحـكـيمـ الـذـيـ قـدـ كـمـلـ فـيـ حـكـمـتـهـ، وـهـوـ الـذـيـ قـدـ كـمـلـ فـيـ أـنـوـاعـ الشـرـفـ وـالـسـوـدـدـ، وـهـوـ اللـهـ سـبـحـانـهـ، لـيـسـ لـهـ كـفـاءـ وـلـيـسـ كـمـثـلـهـ شـيـءـ، سـبـحـانـ اللـهـ الـواـحـدـ الـقـهـارـ، وـقـالـ الـأـعـمـشـ {الـصـمـدـ} السـيـدـ الـذـيـ قـدـ اـنـتـهـىـ سـوـدـدـهـ،

وقال الحسن وقتادة: هو الباقي بعد خلقه، وقال الحسن أيضاً {الصمد} الحي القيوم الذي لا زوال له، وقال الربيع بن أنس: هو الذي لم يلد ولم يولد كأنه جعل ما بعده تقسيراً له، وهو قوله: {لم يلد ولم يولد} وهو تقسير جيد، وقال ابن مسعود والضحاك والسدي: {الصمد} الذي لا جوف له، وقال مجاهد {الصمد} المصمت الذي لا جوف له، وقال الشعبي: هو الذي لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب.

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في كتاب السنة بعد إيراده كثيراً من هذه الأقوال في تقسير الصمد: وكل هذه صحيحة وهي صفات ربنا عز وجل، هو الذي يصمد إليه في الحوائج، وهو الذي قد انتهى سؤده، وهو الصمد الذي لا جوف له ولا يأكل ولا يشرب، وهو الباقي بعد خلقه، وقال البيهقي نحو ذلك، وقوله تعالى: {لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد} أي ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة، قال مجاهد: {ولم يكن له كفوا أحد} يعني لا صاحبة له، وهذا كما قال تعالى: {لَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صاحبةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ} أي هو مالك كل شيء وخلقه، فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه، أو قريب يدانيه؟ تعالى وتقس وتنزه، قال تعالى: {وَقَالُوا: اتَّخَذَ الرَّحْمَنَ وَلَدًا لَقَدْ جَئْنَمْ شَيْئاً إِذَا} ، وقال تعالى: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنَ وَلَدًا سَبَّهَنَ بَلْ عَبَادَ مَكْرُمُونَ \* لَا يُسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ}. وفي صحيح البخاري: "لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله، إنهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويعاففهم" (آخرجه البخاري). وفي الحديث القدسي: "كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشنطني ولم يكن له ذلك، فاما تكذيبه اي اي قوله: لن يعيينني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته. وأما شتمه اي اي قوله: اتخاذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم يكن لي كفوا أحد" (آخرجه البخاري أيضاً).

## 113 - سورة الفلق.

[مقدمة]

عن عقبة بن عامر قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط: {قل أعوذ برب الفلق} و {قل أعوذ برب الناس}" (أخرجه مسلم والترمذى والنمسائى). وروى الإمام أحمد، عن عقبة بن عامر قال: بينما أنا أقود برسول الله صلى الله عليه وسلم في نقب من تلك النقبا إذ قال لي: "يا عقبة ألا ترک؟" قال، فأشفقت أن تكون معصية، قال: فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وركبت هنية، ثم ركب، ثم قال: "يا عقبة، ألا أعلمك سورتين من خير سورتين فرأ بها الناس؟" قلت: بلى يا رسول الله، فأقرأني: {قل أعوذ برب الفلق} و {قل أعوذ برب الناس}، ثم أقيمت الصلاة فتقدمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ بهما، ثم مر بي فقال: "كيف رأيت يا عقب، اقرأ بهما كلما نمت وكلما قمت" (آخرجه أحمد وأبو داود والنمسائي).

وتقديم حديث عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بهن وينفث في كفيه ويمسح بهما رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، وروى الإمام مالك، عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكي يقرأ على نفسه بالمعوذتين، وينفث، فلما اشتد وجعه كنت اقرأ عليه بالمعوذات، وأمسح بيده عليه رجاء بركتها (آخرجه مالك ورواه البخاري وأبو داود والنمسائي). وعن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من أعين الجان

وأعين الإنسان فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سواهما (أخرجه الترمذى والنمسائى وابن ماجة، وقال الترمذى: حديث حسن صحيح).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ {1} مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ {2} وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ {3} وَمِنْ شَرِّ  
النَّفَاثَاتِ فِي الْعُقَدِ {4} وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ {5}

قال ابن عباس {الفلق}: الصبح، وقال ابن جرير: وهي كقوله تعالى: {فاللَّهُ أَكْبَرُ} ، وقال ابن عباس: {الفلق} الخلق، أمر الله نبيه أن يتغىظ من الخلق كلها، وقال كعب الأحبار: {الفلق} بيت في جهنم، إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حرها، قال ابن جرير: والصواب القول، إنه فلق الصبح، وهذا هو الصحيح، وهو اختيار البخاري رحمة الله تعالى، {من شر ما خلق} أي من شر جميع المخلوقات، وقال الحسن البصري: جهنم وإيليس وذريته مما خلق، {ومن شر غاسق إذا وقب} قال مجاهد {غاسق} الليل {إذا وقب} غروب الشمس (حكاية البخاري عنه وهو قول ابن عباس والضحاك)، وقال الحسن وقتادة: إنه الليل إذا أقبل بظلماته، وقال الزهرى: الشمس إذا غربت، وعن عطية وقتادة: {إذا وقب} الليل إذا ذهب، وقال أبو هريرة {ومن شر غاسق إذا وقب} الكوكب، قال ابن جرير: وقال آخرون: هو القمر، قالت عائشة رضي الله عنها: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فارانى القمر حين طلع، وقال: "تعوذى بالله من شر هذا الغاسق إذا وقب" (أخرجه أحمد والترمذى والنمسائى، وقال الترمذى: حسن صحيح)، ولخط النمسائى: "تعوذى بالله من شر هذا، هذا الغاسق إذا وقب"، قال الأولون: هذا لا ينافي قولنا، لأن القمر آية الليل، ولا يوجد له سلطان إلا فيه، وكذلك النجوم لا تضيء إلا بالليل، فهو يرجع إلى ما قلناه، والله أعلم.

وقوله تعالى: {وَمِنْ شَرِّ النَّفَاثَاتِ فِي الْعُقَدِ} قال مجاهد وعكرمة: يعني السواحر، قال مجاهد: إذا رقين ونفثن في العقد، وفي الحديث: أن جبريل جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أشتكتي يا محمد؟ فقال: "نعم"، فقال: باسم الله أرقك، من كل داء يؤذيك، ومن كل شر حسد وعين، الله يشفيك. ولعل هذا كان من شکواه صلى الله عليه وسلم حين سحر، ثم عافاه الله تعالى وشفاه، ورد كيد السحرة الحсад من اليهود في رؤوسهم وجعل تمثيرهم في تدبيرهم.

روى البخاري في كتاب الطب من صحيحه، عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر، حتى كان يرى أنه يأتي النساء، ولا يأتيهن. قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذلك: "يا عائشة أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استقتني فيه؟ أتاني رجلان فقد أحدهما عند رأسي، والأخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للآخر: ما بال الرجل؟ قال: مطهوب، قال: ومن طبه؟ قال (البيهقي بن أعصم) رجل منبني زريق حليف اليهود كان منافقاً، فقال: وفيه؟ قال: في مشط ومشاطة، قال: وأين؟ قال: في جف طلة ذكر، تحت راعوفة في بئر ذروان، قالت: فأتى البئر حتى استخرجه، فقال: "هذه بئر التي أريتها وكأن ماءها نقاعة الحنا وكم نخلها رؤوس الشياطين"، قال: فاستخرج، فقلت: أفلأ تنشرت؟

قال : "أما الله فقد أشفاني، وأكره أن أثير على أحد من الناس شرًا" (أخرج البخاري ورواه مسلم وأحمد بمثله).

وروى الشعبي في تفسيره، قال ابن عباس وعائشة رضي الله عنهم: كان غلام من اليهود يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدبب إليه اليهود، فلم يزالوا به حتى أخذ مشاطة رأس النبي صلى الله عليه وسلم، وعدة من أسنان مشطه، فأعطاهما اليهود سحروه فيها، وكان الذي تولى ذلك رجل منهم يقال له (ابن أعمص) ثم دسها في بئر لنبي زريق، يقال له ذوران، ففرض رسول الله صلى الله عليه وسلم، وانتشر شعر رأسه ولبث ستة أشهر يرى أنه يأتي النساء ولا يأتين، يجعل يذوب، ولا يدري ما عراه، فيبينما هو نائم إذ أتاه ملكان فجلس أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه، فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه: ما بال الرجل؟ قال: طب، قال: وما طب؟ قال: سحر، قال: ليبيد بن الأعمص اليهودي، قال: وبم طبه؟ قال: بأين هو؟ قال: في جف طلة ذكر تحت راعوفة في بئر ذروان، والجف قشر الطاع، والراعوفة حجر في أسفل البئر ناتئ يقوم عليه الماتح، فأنتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم: مذعوراً، وقال: يا عائشة أما شعرت أن الله أخبرني بداعي؟، ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً والزبير وعمار بن ياسر، فنذروا ماء البئر، كأنه نقاوة الحنا، ثم رفعوا الصخرة، وأخرجوا الجف، فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطه، وإذا فيه وتر معقود فيه اثنا عشر عقدة مغروزة بالإبر، فأنزل الله تعالى السورتين، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة، ووجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خفة حين انحلت العقدة الأخيرة، فقام كائناً نشط من عقال، وجعل جبريل عليه السلام يقول: باسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من حسد وعين، الله يشفيك، فقالوا: يا رسول الله أفلأ نأخذ الخبيث نقتله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما أنا فقد شفاني الله، وأكره أن يثير على الناس شرًا" (قال ابن كثير: هكذا أورده الشعبي بدون إسناد وفيه غرابة، وفي بعضه نكارة شديدة، ولبعضه شواهد مما تقدم).

## 114 - سورة الناس.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ {1} مَلِكِ النَّاسِ {2} إِلَهِ النَّاسِ {3} مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَاسِ {4}  
الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ {5} مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ {6}

هذه ثلاثة صفات من صفات الرب عز وجل: (الربوبية) و (الملك) والإلهية)، فهو رب كل شيء وملكيه وإلهه، فجميع الأشياء مخلوقة له مملوكة، فأمر المستعذ أن يتبعه بهذه الصفات {من شر الوسواس الخناس} وهو الشيطان الموكل بالإنسان فإنه ما من أحد من بني آدم إلا وله قرين يزبن له الفواحش، ولا يألو جهداً في الخبال، والمعصوم من عصمه الله، وقد ثبت

في الصحيح: "ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: "نعم إلا أن الله أعانتي عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير".

وقد ثبت في الصحيحين "إن الشيطان يجري منبني آدم مجرى الدم، وإنني خشيت أن يقذف في قلوبكم شيئاً - أو قال - شرًا" (أخرجه الشيخان في قصة زيارة صافية للنبي صلى الله عليه وسلم وهو معتكف فلقه رجلان فقال: "على رسليكم إنها صافية" الحديث). وروى الحافظ أبو يعلى الموصلي، عن أنس بن مالك، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الشيطان واضح خطمه على قلب ابن آدم، فإن ذكر الله خنس، وإن نسي التقم قلبه، فذلك الوسواس الخناس" (أخرجه الحافظ الموصلي). وفيه دلالة على أن القلب متى ذكر الله تصادر الشيطان وغلب، وإن لم يذكر الله تعاظم وغلب، قال ابن عباس في قوله: {الوسواس الخناس} قال: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها غفل ووسوس، فإذا ذكر الله خنس.

وقوله تعالى: {الذى يوسر فى صدور الناس} هل يختص هذا ببني آدم كما هو الظاهر، أو يعم ببني آدم والجن؟ فيه قولان، ويكونون قد دخلوا في لفظ الناس تغليباً، وقوله: {من الجنة والناس} هل هو تفصيل لقوله: {الذى يوسر فى صدور الناس} ثم بينهم فقال: {من الجنة والناس} وهذا يقوى القول الثاني، وقيل قوله: {من الجنة والناس} تفسير للذى يوسر فى صدور الناس من شياطين الإنس والجن كما قال تعالى: [وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً]، وكما قال الإمام أحمد عن أبي ذر قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد فجلس ف قال: "يا أبا ذر هل صلیت؟" قلت: لا، قال: "قم فصل"، قال: فقمت فصلت، ثم جلس ف قال: "يا أبا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الإنس والجن". قال، فقلت: يا رسول الله وللإنس شياطين؟ قال: "نعم" (أخرجه الإمام أحمد وابن ماجه بلفظ أطول)، وروى الإمام أحمد، عن ابن عباس قال، جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إني لأحدث نفسي بال شيء، لأن آخر من السماء أحب إليّ من أتكلّم به، قال؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "الله أكبر، الله أكبر، الحمد لله الذي ردّ كيده إلى الوسوسة" (أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي).

تم بحمد الله

الصفحة	الموضوع
2	مقدمة
4	78 - سورة النبأ.
8	79 - سورة النازعات.
11	80 - سورة عبس.
15	81 - سورة التكوير.
19	82 - سورة الانفطار.
21	83 - سورة المطففين.
25	84 - سورة الانشقاق.
28	85 - سورة البروج.
32	86 - سورة الطارق.
33	87 - سورة الأعلى.
36	88 - سورة الغاشية.
38	89 - سورة الفجر.
42	90 - سورة البلد.
45	91 - سورة الشمس.
47	92 - سورة الليل.
49	93 - سورة الضحى.
51	94 - سورة الشرح.
52	95 - سورة التين.
53	96 - سورة العلق.
56	97 - سورة القدر.
59	98 - سورة البينة.
61	99 - سورة الززلة.
63	100 - سورة العاديات.
64	101 - سورة القارعة.
65	102 - سورة التكاثر.
67	103 - سورة العصر.
68	104 - سورة الهمزة.
68	105 - سورة الفيل.
72	106 - سورة قريش.
72	107 - سورة الماعون.

74	108 - سورة الكوثر.
76	109 - سورة الكافرون.
77	110 - سورة النصر.
79	111 - سورة المسد.
80	112 - سورة الإخلاص.
82	113 - سورة الفلق.
85	114 - سورة الناس.